

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
الأخطبوط
٨٢
Looloo
www.dvd4arab.com

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـــ فى مواجهة جيش ..

سطع البرق فى حجرة (منى توفيق) ، وانعكس على وجه (أدهم) ، الذى وقف يتطلّع إلى المطر المنهمر ، من خلف زجاج النافذة ، فى حين استلقت (منى) على فراشها ، تتطلّع إليه فى حَيْرة ، وقد تنازعتها مشاعر شتَّى ، وسبح عقلها فى ذكريات عديدة ..

كانت تتذكَّر ما حدث منذ عام وربع العام ، عندما انتهى صراعها و(أدهم) ضد (بانشو سيلازر) ، الإرهابى المكسيكى الشهير ، فى وكره وسط صحراء (المكسيك) ، بانفجار وكر (بانشو) تمامًا ، وبداخله هذا الأخير ، مع (أدهم) ، فى حين كانت هى تطلق صرخات اللَّوعة والأسى ، داخل هليوكوبتر تنطلق بها مبتعدة عن بؤرة الانفجار ، مع السفير المصرى(*) ..

(*) راجع قصة (وكر الإرهاب) .. المغامرة رقم (٨٠) .

ومنذ ذلك الحين ، تم اعتبار (أدهم صبرى) ميتًا ، فى كل الأوراق الرسمية ، وتأكد ذلك بحكم اليقين ، عندما مرَّ عام وربع العام ، دون العثور حتى على جثته ..

ثم بدأت المخابرات المصرية عملية البحث عن البديل ..

عن (رجل المستحيل) الثانى ..

وانفطر قلب (منى) — أو كاد — عندما حصل الرائد (حسام شاكر) على اللقب ، وأصبح يحمل رسميًا الرمز (ن — ١) ، وامتلأت نفسها بمرارة حقيقية ، عندما تقدَّم (حسام) يطلب يدها للزواج ..

ورفضت (منى) ..

رفضت بكل خفقها وألمها ..

بكل حبها لرجل واحد ..

لـ (أدهم صبرى) ..

كانت تحبُّه ، حتى وهو فى قبره ..

حتى بعد أن مات ..

ولكن المفاجأة كانت تنتظرها ، والذُّهول كان نصيبها ، عندما عاد البطل فجأة ..

وفى ليلة ممطرة ، وجدت نفسها وجهًا لوجه أمام (رجل المستحيل) ..

وفى تلك الليلة راح يروى لها قصته ، حسبما أدركها فيما بعد ..

لقد نجا من الفجار وكر (بانشو) بمعجزة ، ولكن ليس دون خسائر ..

لقد خسر ذاكرته ..

فقدها تمامًا ، فلَمْ يَعُد يذكر حتى من هو ، ولا إلى أى وطن ينتمى ..

وعثر عليه المكسيكى (برونكو) وابنته (ماريانا) ، وهو فاقد الوعى فى صحراء ، وعمل (برونكو) على إسعافه ، بماله من خبرة فى التمريض ، اكتسبها من سابق عمله فى الجيش المكسيكى ، قبل أن يعتزل العمل ، ويسكن إلى مزرعة صغيرة فى (كيواوا) ، نقل إليها (أدهم) الفاقد الذاكرة ، ومنحه اسم (أميجو) ، وراح (أدهم) يعاونه فى عمله فى المزرعة ، وهو يبذل أقصى جهده فى الوقت ذاته لاستعادة ذاكرته ، وفيما عدا ذلك ، صارت الأمور على خير مايرام ..

حتى ظهر (توماس موران) ورجاله ..

وهنا اشتعلت الأمور ..

واستعاد (أدهم) غريزته القتالية ، وراح يقاتل (توماس) ورجاله ، الذين يحاولون إجبار (برونكو) على بيع مزرعته بثمن بخس ..

وتعقَّدت الأمور ..

وفي مبادرة جريئة ، هاجم (أدهم) مزرعة (توماس) ، ونجح في أسره من وسط رجاله ، وحمله معه إلى الصحراء ..

وهنا اتصل محامي (توماس) بقيادة المنظمة ، التي ينتمي إليها هذا الأخير ، ونجح في إقصاء (توماس) ، وحلَّ محلَّه ..

وهكذا أصبح المحامي (كال) هو الزعيم ..

وأطلق الرجال كلهم خلف (أدهم) ..

وفي هذه اللحظة ، كان (أدهم) قد أجبر (توماس) على الاعتراف بأنهم يسعون لشراء أرض (كيواوا) كلها ، لأنها تسبح على منجم من اليورانيوم ، الذي يحتاجون إليه لصنع أكبر قوة ضارية في العالم ، واعترف (توماس) أيضًا أنه ينتمي إلى منظمة جاسوسية رهيبة ، هي منظمة (سكوربيون) ..

وعلى الرغم من فقدان (أدهم) لذاكرته ، إلا أنه شعر أن الاسم مألوف لديه ..

وأنه يذكر شيئًا عنه ..

وفي نفس اللحظة ، وصل فريق المطاردة ، الذي أرسله (كال) ..

وحاول (أدهم) أن يجعل من (توماس) درعًا واقيًا له ، إلا أن الرجال أطلقوا النار على رأس (توماس) ، وأفقدوا (أدهم) درعه ، وكان عليه أن يواجه وحده جيشًا ..

وأن ينتصر (*) ..

* * *

ازدردت (منى) لعابها في صعوبة ، وهي تتطلَّع إلى (أدهم) الذي يُوليها ظهره ، ويقف مراقبًا المطر ، من خلف زجاج النافذة ، ورَانَ عليهما صمت طويل ، قطعته أمها وهي تدلف إلى الحجرة ، وتتنحنح مغمغمة :

ـــ القهوة .

التفت إليها (أدهم) في هدوء ، وابتسم وهو يتناول منها قدح القهوة ، قائلًا :

ـــ شكرًا ياسيِّدتي .. لطالما تُقت لتناول قهوتك الرائعة .

ابتسمت الأم في حنان ، وهي تقول :

ـــ بالهناء والشفاء ياولدي .

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الجزء الأوَّل (الرجل الآخر) .. المغامرة رقم (٨١) .

ثم أردفت فى حماس :
ــ إنك ستتناول طعام العشاء معنا .. أليس كذلك ؟
اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :
ــ بالتأكيد .
التفتت إلى ابنتها ، وهى تقول فى سعادة :
ــ أراهنك إذن أن (منى) ستتناول عشاءها الليلة ، على الرغم من أنها لم تفعل منذ .. منذ ......
ارتبكت عند الفقرة الأخيرة ، فأدار هو عينيه إلى (منى) ، وقال فى حنان :
ــ هذا واضح .. لقد انخفض وزنها كثيرًا .
ثم أضاف فى سرعة :
ــ ولكنها ازدادت جمالًا .
تخضَّب وجه (منى) بِحُمْرة الخجل ، فى حين ابتسمت الأم فى سعادة وحنان ، وهى تقول :
ــ اطمئن ياولدى .. أنا واثقة من أنها ستستعيد وزنها ، وستصبح أكثر جمالًا .
ثم أسرعت تغادر المكان ، مردفة :
ــ لقد انتهت أحزانها .

ابتسم (أدهم) ، وهو يسأل (منى) :
ــ أهذا صحيح ؟
ازداد احمرار وجهها ، وغمغمت :
ــ نعم .
ثم عادت تسأله فى ضيق :
ــ ولكن متى ظهرت زوجتك فى اللُّعبة ؟
رفع حاجبيه ، مردِّدًا :
ــ زوجتى ؟!
عقدت حاجبيها فى سُخط ، وأشاحت بوجهها ، قائلة فى عصبيَّة :
ــ (سونيا) .. (سونيا جراهام) .. ألم تقُل إنك قد تزوَّجتها ؟
رفع يده إلى مستوى عينيه ، وألقى نظرة سريعة على الدِّبلة فى وسطاه ، ثم أشاح بوجهه بدوره ، وعاد يتطلَّع إلى المطر المتساقط ، متمتمًا :
ــ نعم .. لقد تزوَّجتها .. ولهذا قصة .
رَانَ عليهما الصمت مرَّة أخرى ، قبل أن تسأله فى صوت متحشرج :

ـ حسنًا .. ماذا حدث، عندما واجهت ذلك الجيش وحدك ؟

تنهّد في عمق ، وعاد يواصل قصته ..

ويروى ..

* * *

عندما أصابت الرصاصة رأس (توماس موران) ، وسقط جثة هامدة ، داخل تلك السيارة المكشوفة ، التي انطلق بها (أدهم) ، أدرك هذا الأخير على الفور أن المنظمة قد قرّرت التخلّي عن (توماس) ، وقتله هو أيضًا ..

وكرجل فقد ذاكرته ، كان من الطبيعي أن يرتبك (أدهم) ، ويتوتر ، ويتشتّت ذهنه في شدة ، وهو يشاهد قافلة كاملة من القتلة ، تنقضّ عليه في سبع سيارات قوية ، مع خمس بنادق طويلة المدى ، مصوّبة إلى رأسه ..

ولكن هذا لم يحدث ..

لقد كانت أعماق (أدهم) تدرك قدراته ..

حتى وإن لم يدركها هو ..

وبسرعة خرافية ، تكاد تنافس أجهزة الكمبيوتر ، ذات الأداء الفائق ، وضع عقل (أدهم) خطّة القتال ..

وبدأ تنفيذها ..

وقبل أن يطلق أحد المهاجمين رصاصة واحدة ، كان (أدهم) قد التقط بندقية من المقعد الخلفي ، وصوّبها إليهم ، و......

وأطلق النار ..

وعندما نقول إن (رجل المستحيل) قد أطلق النار ، فإننا نعني أن عاصفة عاتية من الذُّهول قد انقضّت على أعدائه ..

وعصفت بهم ..

لقد انطلقت في البداية خمس رصاصات ، أطاحت ببنادق الرُّماة الخمسة ، فصرخ أحدهم في ذُهول عارم :

ـ يا للشيطان !!..

ولم تكد تكمل حروف كلمته ، حتى هزّت رصاصات بندقية (أدهم) على خزان وقود السيارة ، التي يركبها الرجل ، مع ثلاثة من زملائه ، فصرخ :

ـ اهربوا .. ستنفجر الـ ......

ولم يكمل عبارته هذه المرّة ..

لقد انفجرت السيارة في قوة وعنف ، وتطايرت شظاياها وأشلاء راكبيها نحو السيارات الأخرى في القافلة ، في نفس

اللحظة التى أصابت فيها رصاصات (أدهم) خزان وقود سيارة ثانية ..

ودوّى الانفجار الثانى ..

وتطايرت الشظايا والأشلاء مرّة أخرى ..

وصرخ قائد فريق المطاردة :

ـــ توقفوا .. غادروا السيارات على الفور ، من الواضح أنه شيطان فى فن الرّماية .

أوقف الباقون سياراتهم ، وقفزوا منها هاربين ، محتمين بالصخور ، وراح بعضهم يطلق رصاصاته نحو سيارة (أدهم) ، الذى دفع جثة (توماس) خارج السيارة ، وهو يقول فى سُخرية :

ـــ ليس من السهل إبدال الأدوار أيها الأوغاد .

وانطلق بالسيارة مبتعدًا ..

وبدلًا من أن يطارده الرجال بسياراتهم ، قفز قائدهم إلى سيارته ، وضغط زرّ الاتصال اللاسلكى ، وهو يقول فى توتّر :

ـــ لقد نجح ذلك الشيطان فى الفرار يا سنيور (كال) ، بعد أن نسف لنا سيارتين .

قال (كال) فى هدوء عجيب :

ـــ ولِمَ لَمْ تطارده مع رجالك ؟

أجابه الرجل فى توتّر :

ـــ أقول لك إنه نسف سيارتين برصاصات بندقيته .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يسأله (كال) :

ـــ وماذا عن (توماس) ؟

أجابه الرجل فى عصبيّة :

ـــ لقد قتله أحد الرجال ، برصاصة مباشرة فى رأسه .

أدهشه أن بدا الارتياح فى صوت (كال) ، وهو يقول :

ـــ عظيم .

وقبل أن يُبدى الرجل دهشته ، أضاف (كال) :

ـــ هل يمكنك أن تحدّد الموقع الذى يتجه إليه (أدهم) هذا ؟

أجابه الرجل :

ـــ نعم .. إنه ينطلق إلى الشمال الشرق ، ويبدو أنه يبغى العودة إلى مزرعة (برونكو) .

قال (كال) فى هدوء :

ـــ اطمئن .. إنه لن يصل إليها .

ثم أضاف فى حزم :

ـــ سآمر طائرتى الهليوكوبتر بمطاردته على الفور ، ومنعه من الوصول إلى المزرعة بأى ثمن .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يتابع بلهجة تحمل الكثير من النشوة :

— وفى نفس الوقت ، أريد منكم أن تتخذوا طريقًا خلفيًا إلى المزرعة ، بحيث تصلوا إليها قبل أن يبلغها ذلك الشيطان ، وأريد منكم أن تحصلوا على توقيع (برونكو) الوغد هذا على عقد البيع ، حتى ولو اضطررتم لبتر يده ، والحصول على بصمتها .. هل فهمت ؟

أجابه الرجل فى حزم :

— فهمت .

وأنهى الاتصال ، وعقله يحمل فكرة واحدة ..

لقد انتهى عهد (توماس موران) ..

وبدأ عهد (كال) ..

وياله من عهد !!..

* * *

انطلق (أدهم) بالسيارة ، عائدًا إلى مزرعة (برونكو) ، وعقله يحمل عشرات التساؤلات ..

لقد أصاب كل هدف رغب فى إصابته ..

ولم يضع رصاصة واحدة ..

بل لقد كان واثقًا من أنه يستطيع هذا ..

فما الذى يخفيه كل ذلك ؟..

من هو ؟..

أيّة مهارات يملك ؟!

لماذا يشعر دومًا أنه يملك طاقة هائلة ، لم تتفجّر بعد ؟..

كل هذا يُحيِّره ..

يقلقه ..

يستنزف أفكاره ..

ثم ماذا عن (سكوربيون) هذه ؟..

إنه واثق من أنه يعرف هذا الاسم ..

يعرف الكثير عنه ..

بل إن مجرّد ذكره يفجّر فى ذهنه صورًا عديدة ..

جزيرة صغيرة نائية ..

قصر من قصور الأساطير ..

ذئب قاتل ..

أسماك متوحشة(*) ..

(*) راجع معركة (أدهم صبرى) الأولى مع منظمة (سكوربيون) ، فى قصة (أرض الأهوال) .. المغامرة رقم (١٣) .

ولكن ما الذى يعنيه كل هذا ؟..

ما الذى يربطه بتلك المنظمة الرهيبة ، التى تسعى لتصبح أكبر قوة ضاربة فى العالم ؟..

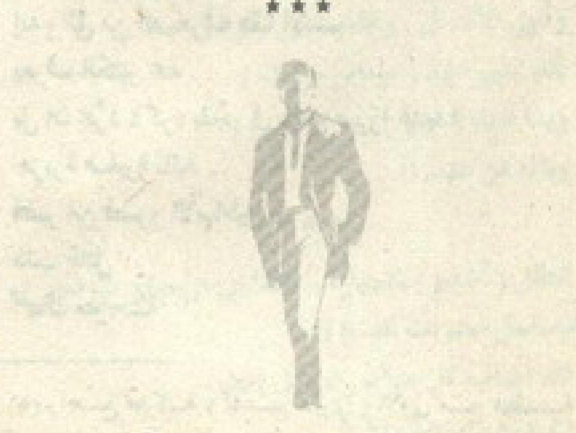
قطع أفكاره فجأة هدير مروحة هليوكوبتر ..

وعندما رفع عينيه إلى أعلى ، شاهد طائرتى الهليوكوبتر تطاردانه ..

وفى نفس اللحظة انطلقت من مدافع الطائرتين سيول من الرصاصات ..

وبدأت المعركة ..

***



وعندما رفع عينيه إلى أعلى ، شاهد طائرتى الهليوكوبتر تطـاردانه ..

٢ ــ طائرتان .. ورجل ..

تطلّعت (ماريانا) إلى والدها في لوعة ، وهو يحزم حقائبهما ، وتمتمت في ألم :

ــ أمازلت تصرُّ على الرحيل ؟

أجابها في مرارة :

ــ ليس أمامنا سوى هذا ، لو أردنا البقاء على قيد الحياة .

قالت في يأس :

ــ ولكن (أميجو) وغد ......

قاطعها في حدّة :

ــ وغد بماذا ؟!.. ما الذى يعلمه (أميجو) عن قوة (توماس موران) ورجاله ؟.. إنه مجرّد ضائع مجهول الهُويّة ، لا يدرك حتى من هو .

قالت :

ــ ولكنني أشعر أنه ......

قاطعها مُحتدًا :

ــ اكتمي شعورك هذا في قلبك إذن ، لو أردت الحفاظ عليه ، فليس للموتى أيّة مشاعر .

ترقرق الدمع في عينيها ، وهي تقول :

ــ أبي .. إنك ......

قاطعها هذه المرّة دوِىّ تحطّم البقية الباقية من سور المزرعة الخشبيّ ، وهدير محرّكات سيارات رجال (توماس) ، وهي تندفع نحو المنزل ، فشحُب وجهها ، وامتقع وجه والدها ، وهو يقول :

ــ كنت أعلم أن هذا سيحدث .

أسرع إلى النافذة ، وهبط قلبه بين ساقيه ، عندما وقع بصره على السيارات الخمس التي تقترب ، وداخلها الرجال المسلحون ، وأضاف في رُعب :

ــ كنت أعلم .

بدا مزيج من اليأس والمرارة على وجه (ماريانا) ، ثم لم تلبث أن هتفت في حنق وحزم :

ــ لقد قال (أميجو) أن الموت أفضل من الرحيل .

وانتزعت بندقية من الحائط في صرامة ، فقفز والدها ينتزعها من يدها ، وهو يقول في حدّة :

ــ هل جُننت ؟

قالت وهي تحاول أن تسترد البندقية :

— لابد أن نقاتل .

جذب البندقية إليه فى عنف ، وأفرغ رصاصاتها ، قبل أن يلقيها فى سُخط ، هاتفًا :

— القتال لمن يمكنهم القتال .

واتجه إلى الباب رافعًا ذارعيه ، مستطردًا فى مرارة :

— وليس للكهول والنساء .

تبعته فى مزيج من الغضب واليأس ، ووقفت إلى جواره ، أمام رجال (كال) ، الذين ارتسمت الابتسامات الساخرة على شفاههم ، وكبيرهم يقول لـ(برونكو) فى شماتة :

— هل ستوقّع العقد الآن ؟

أومأ (برونكو) برأسه فى مرارة ، وهو يقول :

— نعم .. سأفعل .

ألقى إليه الرجل حقيبة صغيرة ، وهو يقول فى ازدراء :

— فى هذه الحقيبة ستجد عشرة آلاف دولار ، هى كل ثمن المزرعة .. أتجده مناسبًا ؟

ترقرقت دمعة فى عين (برونكو) ، وهو يتمتم :

— بالتأكيد .

تألّقت عينا الرجل فى سُخرية شرسة ، وهو يمدّ يده بالعقد المكتوب والقلم ، قائلًا فى لهجة آمرة :

— وقّع إذن .

ارتجفت أصابع (برونكو) ، وهو يتناول القلم والعقد ، وتجمّعت دمعة كبيرة فى عينيه ، وهو يدنى القلم من الورقة ..

وعندما ذيّل العقد بتوقيعه ، لم تحتمل تلك الدمعة الحبيسة ، فانطلقت فارّة ..

وسقطت ..

سقطت لترتطم بطرف العقد ، وتتناثر على هيئة قطرات صغيرة ، استقرّت فوق أرض المزرعة ..

لقد خسر (برونكو) أرضه ..

وكرامته ..

وعندما أعاد (برونكو) العقد المذيّل بالتوقيع إلى الرجل ، كانت الرؤيا أمامه مشوّشة ، لكثرة ما تحمل عيناه من دموع ..

وعندما التقط الرجل العقد ، وتأكّد من التوقيع ، ودسّ العقد فى جيبه ، كانت عيناه تبرقان فى شماتة وظَفَر ..

وفى هدوء شامت ، أشار الرجل بيده إلى نهاية المزرعة ، قائلًا :

— ارحلا .

وفى مرارة ، حمل (برونكو) و (ماريانا) حقائبهما ..
ورحلا ..

* * *

طوال عمل (أدهم صبرى) فى المخابرات الحربية ، ثم المخابرات العامة ، وقبلهما فى إدارة القوات الخاصة (الصاعقة) ، بات من الواضح للجميع أن نجاته المذهلة ، من معظم مايتعرّض له من مخاطر جسام ، إنما تعود ، بعد توفيق الله (سبحانه وتعالى)، إلى سرعة الاستجابة الفائقة ، والخارقة للمألوف ، التى يتمتّع بها (أدهم)، والتى اكتسب بعضها من موهبته ، التى حباهُ بها المولى (عزّ وجلّ)، وصقل الباقى بتلك التدريبات الرائعة ، التى بدأها معه والده ، وهو بعد فى الثالثة من عمره ..

ففى تلك اللحظة ، فى صحراء (المكسيك)، كانت هناك طائرتان من نوع الهليوكوبتر تطاردانه ، وقد زُوِّدت كل منهما بمدفعين رشاشين قويّين ، خلفهما اثنان من أسرع طيّارى الهليوكوبتر الحربية الأمريكيين ..

ويفخر كل طيار من طيّارى الهليوكوبتر بقدرته الفائقة على إصابة أى هدف متحرّك ، حتى ولو كان فى حجم فأر ، يعدو وسط أحراش كثيفة ..

لذا بدت لهما مهمّة اقتناص (أدهم) ، الذى يقود سيارة مكشوفة ، فى صحراء شاسعة ، أقل سهولة من التقاط كرة تنس بكفّين كبيرتين .

وبكل هذه الثقة ، أطلق أحدهما رصاصات مدفعيه نحو جسد (أدهم) ، فى حين أطلق الآخر رصاصاته نحو خزان وقود السيارة ..

ولكن المشكلة التى لم يدرك الاثنان أبعادها ، هى أنهما لايقاتلان صيدًا عاديًا ..

بل رجل من نوع خاص ..

(رجل المستحيل) ..

لقد سمع (أدهم) هدير مروحتى الهليوكوبتر ، ولمحهما بطرف عينيه ، ثم انحرف بسيارته بغتة وبسرعة ، قبل أن تنطلق رصاصات المدافع ..

أو فى نفس اللحظة تقريبًا ..

ولم يصب الطيّاران هدفهما ..

وضاعت رصاصاتهما وسط الصحراء ..

وجُنّ جُنونهما ..

وعندما استعدّا للهجوم التالى ، كان (أدهم) قد انطلق بكل مهارته فى القيادة ..

وراحت سيارة (أدهم) تراوغ الطائرتين فى براعة مُذهلة ، وتتفادى رصاصاتهما على نحو أثار سُخط الطيارين ، فهتف أحدهما لزميله ، عبْر أجهزة الاتصال اللاسلكى بينهما :

— أى شيطان هذا ؟!.. إننى لم أرَ فى حياتى كلها من هو أكثر منه براعة فى قيادة السيارات .

أجابه زميله فى حدّة :

— لن نسمح له بالفرار منا على أيّة حال .. واصل أنت مطاردته ، وسأدور أنا حول تلك السلسلة الجبلية هناك ، وأفاجئه من الأمام .

قال الأوّل فى غضب :

— فليكن .

وراح يواصل مطاردته لـ(أدهم)، فى حين اختفى زميله خلف أوّل السلسلة الجبلية الصغيرة ، فغمغم (أدهم) فى لهجة أقرب إلى السُّخرية ، وهو يرفع بندقيته بيده اليُسرى :

— تُرى أين اختفى الوغد الآخر ؟.. أيستعدّ لكمين جوّى مثلًا ؟

ثم أدار فوّهة بندقيته نحو الهليوكوبتر ، مستطردًا :

— فليكن .. لن أكتفى بدور الدفاع .

أطلق رصاصات بندقيته نحو الهليوكوبتر ، فهتف قائدها مُحنقًا :

— يا للغرور .. أتتصوُّر قدرتك على مجابهة هليوكوبتر ببندقية واحدة ؟.. ثم إنك لا تجيد التصويب .. لقد طاشت رصاصاتك كلها ، و.....

فجأة ، اختلّ توازن الهليوكوبتر ، ومالت إلى اليسار قليلًا ، وسقط منها جسم ثقيل ، ارتطم بالأرض فى قوة ، وأثار عاصفة من الغبار ، فجُنّ جُنون الطيار ، وهو يصرخ :

— اللّعنة !!.. لقد أسقط أحد المدفعين الرشاشين .. لقد أصاب ذراع التثبيت .. ياله من شيطان !!

قالها وراح يطلق النيران خلف سيارة (أدهم) فى جُنون ، وهذا الأخير يراوغ فى مهارة مُذهلة ، حتى ضاق الطريق فجأة ، وبدا من الواضح أنه على سيارة (أدهم) أن تعبُر ممرًا قصيرًا محتمًا ، فصرخ الطيار فى شماتة :

— لقد وقعت أيها الشيطان .. وقعت .

وكان (أدهم) يدرك أيضًا أن ذلك الممر القصير يحدُّ من قُدرته على المناورة بالسيارة ، ويجعل وقوعه فى يد الطيار أكثر سهولة ؛ لذا فقد زاد من سرعته محاولًا تجاوز الممرّ بأقصى سرعة ..

ولكن ..

فجأة ، ظهرت الهليوكوبتر الأخرى عند نهاية الممرّ ..

وصوّب قائدها مدفعيها نحو سيارة (أدهم) ..

واندفعت الهليوكوبتر الأولى من الخلف ، وصرخ قائدها عبْر اللاسلكي فى زميله :

ـ أطلق النار .. لا تجعله يعبُر الممر .. أطلق النار .

وبلا تردُّد ، أطلق الاثنان رصاصات مدافعهما ..

ودوّى الانفجار ..

* * *



٣ ـ بين نارين ..

استرخى (كال) بجسده القوى ، فى مقعد (توماس) الأثير ، ومدّ يده يلتقط سيجارًا كوبيًّا فاخرًا ، من علبة ذهبية أنيقة ، مازالت تحمل اسم (توماس موران) ، وأشعله بقدّاحة ذهبية ، مرصّعة بالماس ، ونفث دُخانه فى عمق ، وهو يُسبل جفنيه ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة كبيرة ..

لقد حصل أخيرًا على مايسعى إليه منذ عام كامل ..

على زعامة فرع (سكوربيون) فى (المكسيك) ..

سنة كاملة وهو يتصيّد أخطاء (توماس) ، ويُبلغها إلى قيادة المنظّمة أوّلًا فأوّلًا ..

وأخيرًا ، سقط (توماس) ..

ونهض (كال) ..

وبابتسامة واسعة ، ربّت على القدّاحة الذهبية المرصّعة بالماس ، قبل أن يدسّها فى جيبه ، قائلًا :

ـ معذرة يا عزيزى (توماس) .. سأستولى على قداحتك الشهيرة ، فلم تعُد بحاجة إليها فى العالم الآخر .. أليس كذلك ؟

وتولّدت ضحكة على شفتيه ، وهو يستطرد :

ـــ هناك ستجد النيران حولك فى كل مكان .

بدا لحظة وكأنه سينفجر ضاحكًا ..

ولكنه لم يفعل ..

لم يكن حتى ليفعل .

لقد كان من ذلك النوع الرصين ، الذى لا ينبض قلبه سوى بالقسوة والغلظة ، والذى لا يعرف فى الدنيا سوى السعى وراء الثروة والسطوة ..

ولم تكن زعامة فرع (المكسيك) هى كل طموحه ، وإنما كانت خطوة ، يتأهّب بعدها لنيل زعامة المنظمة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم الفوز بالزعامة المطلقة ، والجلوس على عرش (سكوربيون) ..

ولبلوغ طموحاته ، ينبغى له أن يثبت دومًا أنه الأقوى ..

استغرقته أحلام القوة والثراء ، حتى أيقظه رنين الهاتف المباغت ، فقفزت يده تلتقط سمّاعته ، وهو يقول :

ـــ من المتحدّث ؟

أتاه صوت كبير الرجال ، يقول :

ـــ لقد حصلنا على توقيع (برونكو) أيها الزعيم .



استغرقته أحلام القوة والثراء ، حتى أيقظه رنين الهاتف المباغت ، فقفزت يده تلتقط سمّاعته ..

ابتسم (كال) فى ارتياح ، وهو يقول :

— عظيم .

أضاف الرجل :

— ها هو ذا يغادر المزرعة مع ابنته ، حاملاً تلك الحقيبة ، التى تحوى العشرة آلاف دولار .. هل أطلق النار على رأسه وأستعيدها ؟

أجابه (كال) فى هدوء :

— لا .. دَعْهُ يمضى بها .

ثم ابتسم مستطرداً فى زهو :

— إنه خير دعاية لقوتنا .

سأله الرجل فى خفة :

— وماذا عن ذلك الشيطان الآخر .. (أميجو) ؟

عقد (كال) حاجبيه ، وكأنما تذكّر أمر (أدهم) على التوّ ، وقال :

— دَعْكَ منه .. لقد أرسلت خلفه طائرتى الهليوكوبتر .

وعاد يبتسم ، مستطرداً :

— يمكنك اعتباره الآن فى خبر كان ..

* * *

لم تكد الهليوكوبتر الثانية تبرز أمام (أدهم) ، حتى برزت لحظة جُنونية فى رأسه على الفور ..

لقد أدرك أن الفرار صار مستحيلاً ..

وأنه مامن وسيلة معقولة للنجاة ، وقد حاصرته الطائرتان ، وكأنما سقط بين مِطرقة وسِنْدان ..

ما دام قد عدم كل الوسائل المعقولة ، فلم يَعُد أمامه سوى اللُّجوء إلى الوسائل الأخرى ..

المجنونة ..

وفى اللحظة التى تبادل فيها قائدا الهليوكوبتر أمر إطلاق النيران ، كان (أدهم) يندفع بالسيارة نحو صخرة مائلة بارزة ، ويرتطم بها ، فتقفز سيارته كحيوان كنجارو نشط ..

وعندما ضغط الطيّاران أزرار إطلاق المدافع الرشاشة ، بدا لهما المشهد كله أشبه بكابوس رهيب ..

لقد قفزت سيارة (أدهم) ، وطارت فى الهواء ، وارتطمت بها الرصاصات ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها (أدهم) منها ، واتسعت عينا قائد الهليوكوبتر الثانية فى رُعب ، عندما رأى السيارة تندفع نحوه كالصاروخ ، وصرخ :

— يا للشيطان !!

وفى نفس اللحظة التى ارتطمت فيها قدما (أدهم) بالأرض ، وتدحرج فيها جسده مبتعدًا ، ارتطمت السيارة بالهليوكوبتر ، و.....

ودوّى الانفجار ..

انفجار رهيب مذهل ، أطاش صواب قائد الهليوكوبتر الأخرى ، الذى رأى هليوكوبتر زميله تتفتّت أمام عينيه ، فراح يصرخ فى جُنُون :

ـ مستحيل !.. مستحيل !

وأمام عينيه ، راح (أدهم) يعدو مبتعدًا ، وحطام الهليوكوبتر والسيارة يتهاوَى مشتعلًا حوله ، فصرخ قائد الهليوكوبتر الأخرى :

ـ لن تنجو .. لن تنجو أبدًا .

وانطلق بالهليوكوبتر يجتاز سحابة الدُّخان ، التى صنعها الانفجار ، فى محاولة لمطاردة (أدهم) ، ولم يكد يلمحه يعدُو ، حتى ضغط أسنانه بعضها ببعض ، وقال فى حزم :

ـ لقد انتهيت أيها الشيطان .. انتهيت .

وفجأة ، توقّف (أدهم) عن العَدْو ، وسحب مسدّسه من حزامه ، واستدار يواجه الهليوكوبتر .

وهتف الطيّار :

ـ بمسدّس واحد ؟!.. من الواضح أن فرصتك فى النجاة تحتاج إلى الكثير من الحظ ، لتبلغ الصفر .

ولكن (أدهم) أطلق رصاصات مسدّسه بكل الهدوء والثقة والثبات ، وهو يغمغم فى سُخرية :

ـ يبدو أنك لاتتعلّم من أخطائك أيها الوغد .

وتفجّر غيظ شديد فى أعماق الطيّار ، عندما أصابت رصاصات (أدهم) ذراع الرشاش الثانى ، فسقط مرتطمًا بالأرض كقنبلة مكتومة ، وهتف الرجل فى سُخط :

ـ يالك من شيطان خبيث !.. لقد جرّدتنى من سلاحى .

ثم دفع ذراع القيادة إلى الأمام مستطردًا :

ـ ولكننى مازلت أتفوّق عليك .

مالت الهليوكوبتر ، واندفعت نحو (أدهم) بكل سرعتها ، والطيّار يصرخ فى ثورة :

ـ سأسحقك سحقًا .

ولكن (أدهم) انحنى بجسده فجأة ، وترك الهليوكوبتر تعبُر فوقه ، ثم قفز متعلّقًا بقائمها السفلى ..

واختلَّ توازن الهليوكوبتر من فَرْط المفاجأة ، ومالت مع ذلك الثقل المفاجئ ، ولكن مهارة قائدها منعت تحطُّم مروحتها على الأرض ، على الرغم من ذُهُوله ، وهو يهتف :

ــ مستحيل !!

وفجأة ، وجد (أدهم) إلى جواره فى كابينة القيادة ، يقول فى سُخرية :

ــ معذرة .. أيمكننى التطفُّل عليك قليلًا ؟

قفزت يد الرجل إلى مسدسه ، المعلَّق فى حزامه ، ولكن قبضة (أدهم) أحاطت بمعصمه ككلَّابة من الصلب ، وامتدَّت قبضته الأخرى تمسك عصا القيادة ، وهو يقول فى هدوء :

ــ أهكذا تستقبل ضيوفك دَوْمًا ؟

لم تكد عينا الرجل تقعان على وجه (أدهم) ، حتى امتلأت ملامحه بالرُّعب والذُّهول ، وانعقد لسانه ، فلم ينبس بحرف واحد ، و (أدهم) يهبط بالهليوكوبتر فى سلاسة ، كما لو كان طيَّارًا محترفًا ، يفعل هذا طيلة عمره ، قبل أن يدفع الطيَّار خارج الهليوكوبتر ، فور هبوطها ، وهو يقول فى سُخرية :

ــ معذرة أيها الوغد .. لقد اضطررتنى أنت وزميلك إلى التخلِّى عن وسيلة الانتقال التى أملكها ، وأجد نفسى مضطرًا للحصول على وسيلة أخرى أكثر تطوُّرًا .

لم ينبس الرجل ببنتِ شَفَة ، وهو يحدِّق فيه فى ذُهُول ، فأضاف (أدهم) :

ــ بلِّغ تحياتى إلى الوغد الجديد ، الذى سيحلُّ محلَّ (توماس) .

وارتفع بالهليوكوبتر فى بساطة ، وهو يلوِّح بكفِّه للرجل فى سُخرية ، والرجل يتابعه فى ذُهُول تام ، حتى ابتعدت الهليوكوبتر ، فهتف :

ــ يا للشيطان !!.. ونحن الذين كنَّا نتصوَّر أنه قد لقِىَ مصرعه منذ أربعة شهور !!

راح يتابع الهليوكوبتر مرَّة أخرى فى ذُهُول ، قبل أن يستطرد :

ــ أراهن أن هذا الخبر سيثير ذُهُولَ الرؤساء ، و.....

بتر عبارته بغتة ، وعقد حاجبيه ، وهو يقول :

ــ ولكن هناك من يمكنه أن يدفع ثروة مقابل هذا .

وابتسم في شهوة ، مستطردًا :

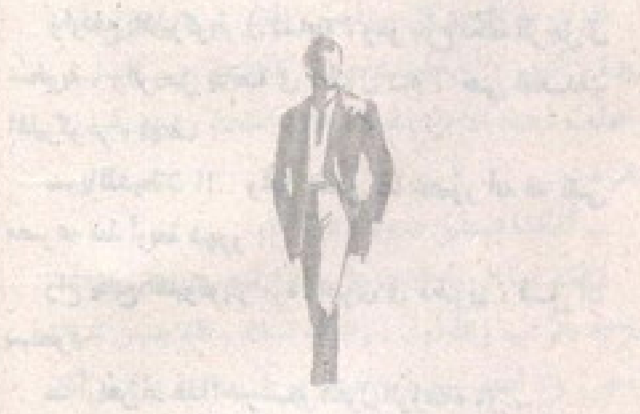
ـــ وأنا أعرف كيف أحصل على هذه الثروة ..

وفي أعماقه ، انطلقت ضحكة ظافرة ..

لقد تعرَّف خصمه ..

وأدرك هدفه ..

* * *



٤ ـــ الحَيْرة ..

انطلق (أدهم) بالهليوكوبتر في سلاسة نحو مزرعة (برونكو) ، وهو أشدُّ حَيْرة من ذي قبل ..

إنه يقود الهليوكوبتر ببساطة شديدة ، وهذا يثير دهشته أكثر ..

ماحدود قدراته ؟!..

كان هذا السؤال يُحيِّره ..

إنه يفعل تقريبًا كل مايجبّ أن يفعله ..

ويكتشف في نفسه مهارات جديدة في كل مرّة ..

بل إنه مازال يشعر أنه لم يستخدم كل طاقاته ومهاراته بعد ..

مازال يشعر بطاقة هائلة في أعماقه ..

طاقة جعلته يتساءل في كل لحظة : من أنا ؟!..

أدرك ـــ دون الحاجة إلى الكثير من الذكاء ـــ أنه حتمًا ليس برجل عادي ..

وليس بصاحب مهنة تقليدية ..

إنه حتمًا ينتمي إلى جهاز خاص ..
أو منظمة خاصة ..
أثارت النقطة الأخيرة قلقه ..
أيمكن أن يكون منتميًا إلى منظمة إجرامية مثلًا ؟!..
إنه يجيد إطلاق النار ، وقيادة السيارات والطائرات ، وعقله يحتشد بعدة لغات ولهجات ..
فلماذا يمتلك كل هذا ؟..
أنكرت عليه غريزته تمامًا انتماءه إلى منظمات إجرامية ، إلا أنه لم يلبث أن سأل نفسه : كيف أتيت إلى صحراء (المكسيك) إذن ؟..
بدا له أنه من الممكن أن يكون ضحية لحرب عصابات من نوع ما ، أو لصراع بين منظمات قوية ، مثل (سكوربيون) و (المافيا) ..
لم يكد اسم (المافيا) يَرِد بذهنه ، حتى راحت ذاكرته تستعيد صورًا وأحداثًا وأسماء متفرّقة سريعة ..
دون (ريكاردو) ..
دون (كارلو) ..
دون (مايكل) ..

(جروشو مانيالى) ..
دونا (كارولينا) ..
لم يكد اسم الأخيرة يَرِد إلى ذهنه ، حتى غامره شعور مُبهم بالارتياح ، جعله يسأل نفسه مرّة أخرى : هل أنتمي إلى (المافيا) ؟..
تلاشت كل تلك الأفكار من ذهنه دفعة واحدة ، عندما وقع بصره بغتة على (برونكو) و (ماريانا) ، وهما يستقلّان سيارة (برونكو) القديمة ، وينطلقان بها مبتعدين عن المزرعة ، فعقد حاجبيه ، مغمغمًا في قلق :
ـ تُرى ماذا حدث ؟
هبط بالهليوكوبتر نحو السيارة ، ورأى (برونكو) يتطلّع إلى الهليوكوبتر في قلق وخوف ، فلوّح بيده منها ، هاتفًا :
ـ إنه أنا .. (أميجو) .
اتسعت عينا (برونكو) ، وهو يردّد في ذهول :
ـ (أميجو) ؟!..
أما (ماريانا) فقد راحت تتطلّع إلى الهليوكوبتر ، التي يهبط بها (أدهم) ، وقد خفت ذهولها أمام خفقان قلبها الشديد ، حتى استقرّت الهليوكوبتر أرضًا ، وغادرها (أدهم) متجهًا نحو السيارة ، فهتفت في حرارة وسعادة :



أما (ماريانا) فقد راحت تتطلع إلى الهليوكوبتر ، التي يهبط بها (أدهم)، وقد ضعف ذعرها أمام خفقان قلبها الشديد ..

— (أميجو) .

أما (برونكو) فقد ظلّ يحدّق في (أدهم) ذاهلًا ، حتى صار (أدهم) على قيد خطوات منه ، فهتف وهو يشير إلى الهليوكوبتر :

— (أميجو) .. كيف أمكنك أن تقود هذا الشيء ؟

هزّ (أدهم) رأسه في حيرة ، وهو يقول :

— صدّقني ياسنيور (برونكو) .. إنني ألقي على نفسي السؤال ذاته .

رمقه (برونكو) بنظرة غريبة ، تجمع مابين الشك والقلق ، قبل أن يسأله (أدهم) في اهتمام :

— إلى أين ؟.. لماذا غادرتما المزرعة ؟

أطرقت (ماريانا) برأسها في حزن ، في حين غمغم (برونكو) في مرارة :

— لم تعُد تملك المزرعة يا (أميجو) .

هتف (أدهم) في غضب :

— هل أتى رجال (توماس) ؟

أومأ (برونكو) برأسه إيجابًا ، وقال في حزن :

— نعم .. ولقد وقّعت العقد .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يقول :

ــ خطأ .

ثم زفر فى حرارة ، مستطردًا فى حزم :

ــ ولكن الحرب لم تنته بعد .

هتف به (برونكو) :

ــ لا يا (أميجو) .. أرجوك .. لا حروب بعد الآن .. لقد ابتاع سنيور (توماس) المزرعة ، وانتهى كل شىء .

قال (أدهم) فى حدّة :

ــ لم يَعُد (توماس) قادرًا على ابتياع بعوضة .. لقد لقىَ مصرعه بيد رجاله .

اتسعت عينا (برونكو) ، وهو يهتف :

ــ لقىَ مصرعه ؟!.. يا إلهى !.. هذا يعنى أن (كال) هو الزعيم الجديد .. لقد سمعتهم يتصلون به لاسلكيًا ، ليخبروه بإتمام البيع .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

ــ من (كال) هذا ؟

أجابه (برونكو) وصوته يرتجف :

ــ إنه شيطان آدمى .. نصف أمريكى ونصف مكسيكى .. وكان يعمل محاميًا لـ (توماس) .

غمغم (أدهم) :

ــ إذن فهو ذلك المحامى .

سأله (برونكو) فى دهشة :

ــ هل التقيت به ؟

لوّح (أدهم) بكفه ، قائلًا :

ــ ليس بما يكفى لتعرُّفه .. هيّا .. أخبرنى كل ما لديك عنه .

ألقى (برونكو) نظرة قلقة على الهليوكوبتر ، وقال :

ــ أليس من الأفضل أن نبتعد عن هنا أوّلًا ؟

ابتسم (أدهم) مشفقًا ، وقال وهو يقفز داخل العربة :

ــ فليكن .. ابتعد بنا ، وأخبرنى بكل ما لديك .

انطلق (برونكو) بالسيارة ، مبتعدًا عن الهليوكوبتر ، وهو يقول :

ــ قد يبدو للجميع ــ ظاهريًا ــ أن (توماس) هو الشرير السادى المتوحش ، فى حين أن (كال) هو الرصين الهادئ ، ولكن الحقيقة هى أن كليهما شرير حقير ، ولا فارق بينهما سوى أن (توماس) يصنع ضجيجًا عنيفًا ، وهو يقتل ضحيته ، فى حين يكتفى (كال) بابتسامة هادئة رصينة ، وهو يبتر أطراف الضحية ، وينتزع أظفارها ، قبل أن يشوى ما تبقَّى

منها حيًا ، وهذا الفارق يعود إلى أن البرميل الأجوف الفارغ يصدر عادةً رنينًا أكبر من البرميل الممتلئ ، فلقد كان (توماس) محدود التفكير والطموح ، لايبغى أكثر مما وصل إليه ، بل كان يتصوَّر أن تزعُّمه وسيادته لمنطقة (كيواوا) هو أعظم مايمكنه بلوغه ، فى حين لايقف شىء مافى سبيل طموحات (كال) ، الذى قد يسعى لنيل منصب رئيس الدولة نفسه .

سأله (أدهم) :

ــ وكيف علمت كل هذا ؟

هزَّ الكهل كتفيه ، وهو يجيب :

ــ لاأحد يجهل من هو (كال) .. إن تاريخه حافل بأسماء من حطَّمهم وداسهم بأقدامه ، ليبلغ مابلغ ، وأوَّلهم والده الأمريكى ، الذى أبلغ عنه بتهمة الجاسوسية ، ليضمن تقرُّبه من كبار الدولة واكتسابه لثقتهم ، ثم أستاذه فى المحاماة ، وعشرات غيرهم .

غمغم (أدهم) فى اهتزاز :

ــ والده ؟!

أثار هذا الموقف بالذات حنقه واحتقاره ، دون أن يدرك السبب ..

وكان السبب كامنًا فى أعماقه ..

فى ذكرياته الغائبة ..

فى عروبته ..

لقد كان عقله الباطن يحمل ذكرى والده ، رجل المخابرات السابق ، الذى اغتاله (الموساد) قديمًا(*) ..

والده الذى صنع منه (رجل المستحيل) ..

وكانت عروبته تأبى عليه أن يمسَّ الابن والده ..

فى أعماقه كان هناك احترام كبير للآباء ..

وللأسرة ..

وبكل حيْرته فى البحث عن هويَّته ، زفر (أدهم) فى قوة ، وقال :

ــ هذا يعْنى ببساطة ، أن (كال) هذا وحش آدمى .

غمغم (برونكو) فى صوت خافت مرتجف ، وكأنه يخشى أن تبلغ كلماته مسامع (كال) :

(*) راجع قصة (ملائكة الجحيم) .. المغامرة رقم (٦١) .

— بل هو أبشع من ذلك .. إنَّ (كال) هذا أخطبوط ..
أخطبوط متوحش ، تمتد أذرعته فى كل مكان ، ولا أحد ينجو
من مخالبه أبدًا .. صدقنى .. ليس من الحكمة أن تلقى نفسك
بين أذرع أخطبوط .

شرد بصر (أدهم) ، وهو يقول :

— هذا يعنى أن الحرب بينى وبينه ستشتعل فى شدّة .

وخيّل لـ (برونكو) وابنته أن شيئًا من الجذل قد تسلّل إلى
لهجة (أدهم) ، وهو يستطرد :

— وأن الجحيم سيفتح أبوابه .. عن آخرها .

* * *



٥ — الجحيم ..

حدّق (كال) فى وجه الطيار فى ذهول ، وهذا الأخير
يروى ما حدث بصوت متهدّج ، ولهجة ملؤها الانفعال ، حتى
انتهى الطيّار من روايته ، فهتف (كال) فى غضب :

— رجل واحد ، هزم طائرتين ؟!

هتف الطيّار :

— إنه ليس مجرّد رجل عادى .. إنه شيطان .

بدا الغضب على وجه (كال) لحظات ، ثم لم يلبث أن
سيطر على انفعاله فى سرعة كعادته ، ونفث دُخان سيجاره ،
مردّدًا على نحو بدا أشبه برجل يتحدث إلى نفسه :

— حطّم طائرتين بمفرده !!

وشرد ببصره لحظات ، ثم قال للطيّار :

— قُل لى يا رجل .. لقد عملت من قبل فى المخابرات
الأمريكية .. هل التقيت حينذاك برجال مثل هذا ؟

غمغم الطيّار :

— ليس تمامًا .

مال نحوه (كال) ، وتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يسأله :

ـــ باختصار .. أتعتقد أنه من المحتمل أن يكون هذا الرجل منتميًا إلى المخابرات المركزية الأمريكية ؟

تبادل معه الطيار نظرة هادئة ، وهو يقول :

ـــ إنه يعمل لحساب المخابرات بالتأكيد .

هتف (جوزيه) ، مفتش الشرطة ، الذى ظلَّ صامتًا طِيلَة الوقت :

ـــ ألم أقل لك ؟.. إنه يعمل لحساب المخابرات الأمريكية حتمًا .

عقد (كال) حاجبيه مفكرًا ، وهو يقول :

ـــ ولكن هذا لايتفق أبدًا مع أسلوبه .

قال (جوزيه) فى عصبيَّة :

ـــ لايمكنك أبدًا أن تفهم أسلوب المخابرات الأمريكية .

ظلَّ (كال) صامتًا لحظات ، وبدا من ملامحه ، ومن تقطيبته ، أنه يعتصر ذهنه مفكرًا ، قبل أن يبتسم فى هدوء ، قائلًا :

ـــ ولايمكنك استنتاج أسلوبى أيضًا .

سأله (جوزيه) فى قلق :

ـــ ماذا تعنى ؟

أجابه مبتهجًا :

ـــ أعنى أننا سنتخلَّص من (أميجو) هذا ، حتى ولو كان يعمل لحساب الأمم المتحدة نفسها .

هتف (جوزيه) فى عصبيَّة :

ـــ اسمع ياسنيور (كال) .. لست أحب التورُّط فى أمور مشبوهة ، خاصة وأن الخصم هذه المرَّة ينتمى إلى .....

قاطعه (كال) فى هدوء :

ـــ اطمئن يارجل .. لن تكون اللُّعبة ساذجة كما تتوقَّع .

ثم أشار إلى رأسه ، مستطردًا فى شىء من الزَّهو :

ـــ إن عقلى هو الذى يعدُّها .

تنحنح الطيار ، وهو يقول :

ـــ معذرة ياسنيور (كال) .. هل يمكننى الانصراف ؟

التفت إليه (كال) ، قائلًا :

ـــ بالتأكيد .

ثم عاد يتابع حديثه مع (جوزيه) ، قائلًا :

ـــ الخطَّة ستكون ذكية ومبتكرة .

ابتسم الطيَّار فى سُخرية، عندما بلغت عبارة (كال) الأخيرة مسامعه ، وهو يغادر الحجرة ، ويغلق بابها خلفه فى هدوء ..

هو وحده كان يعلم أن عقل (كال) ، بكل عبقريته ، لن يكفى للقضاء على ذلك الرجل ، الذى حطّم أنوف الجبابرة ، فى قارات العالم الستّ ..

هو وحده يعلم أن ذلك الخصم ليس مجرّد مغامر مكسيكى ..

وليس حتى أحد رجال المخابرات الأمريكية ..

هو وحده يعلم أن ذلك الخصم مصرى ..

وأنه رجل فريد من نوعه ..

(رجل المستحيل) ..

ولم يكد الطيّار يبلغ حجرته ، حتى أغلق بابها خلفه فى إحكام ، ثم التقط هاتفه الخاص ، وضغط أزراره برقم خاص ، عبْر الخيط ، ولم يكد يسمع تلك اللهجة الألمانية الخالصة ، التى أجابته ، حتى قال بألمانية سليمة :

ـ مرحبًا ياسيّدى .. هنا (رودلف) .. أريد أن أتحدّث إلى السيّدة (نورما كرينهال) .. نعم .. هى بذاتها .. أجل نزيلات فندقكم .. ماذا تقول؟ .. هل أمرت بعدم إزعاجها؟! .. لا .. لاتقلق .. فقط أخبرها أننى أتحدّث إليها بشأن (ن ـ ١) ، الذى عاد إلى الحياة ، وثق أنها ستمنحك مكافأة سخيّة؛ لأنك خرقت أوامرها بعدم الإزعاج .. هيّا .. إننى أنتظرك .

وعلى شفتيه ارتسمت نفس الابتسامة الظافرة الشامتة .. ابتسامة وحش مفترس ..

* * *

صعد (أدهم) فى درجات ذلك السُلّم الخشبىّ الصغير ، وهو يحمل دلْو الطلاء ، وراح يطلى لافتة ذلك المتجر الصغير ، الذى ابتاعه (برونكو) فى قلب مدينة (كيواوا) ..

كان يعاون الرجل بكل إخلاص ونشاط ، دون أن يتنازل عن تلك الفكرة التى رسخت فى ذهنه ، بضرورة استعادة المزرعة من يد (كال) ، حتى ولو أدّى الأمر إلى تحطيم هذا الأخير ..

وفى أحلامه ، كان (أدهم) يسترجع صورًا متفرّقة من ذاكرته الضائعة ..

وكان هذا يزيد من حَيْرته ..

وعندما ابتاع (برونكو) ذلك المتجر ، بكل المبلغ الذى حصل عليه مقابل مزرعته كلها ، أدرك (أدهم) أن الرجل يُعانى آلامًا نفسية رهيبة ، وأنه يحتاج إلى هدنة ، فقرّر أن يتوقّف عن الصراع ليوم أو يومين ، ويتعاون مع الرجل فى هدوء ، حتى يستقر به العمل والمقام فى المدينة ..

ولكن هذه الهدنة لم تستمر حتى ليوم واحد ..

كان قد بدأ فى طلاء اللافتة على الفور ، بمجرّد أن ابتاع (برونكو) المتجر ، فور وصولهما إلى (كيواوا) ، فى حين انهمك (برونكو) وابنته فى جرد محتويات المتجر ، وإعادة ترتيبه ، عندما تناهى إلى مسامعه هدير محرّكات خمس دراجات بخارية تقترب ، ورأى بطرف عينه خمسة من شباب (الهيبز) الأمريكيين(*) ، وقد توقفوا بدرّاجاتهم البخارية ، وسترابهم الجلدية المزدانة بالرسوم والنقوش العجيبة ، أمام المتجر ، وراحوا يتطلّعون إلى (برونكو) و (ماريانا) فى سُخرية ، ولكنه واصل عمله فى هدوء ، وكأنما لم يلمحهم ، حتى سمع أحدهم يهتف بـ (ماريانا) :

ــ تعالى أيتها المكسيكية الحسناء .. تعالى نشاهد جمالك عن كثب .

انكمشت (ماريانا) فى خوف ، واتجهت بنظرة رجاء إلى (أدهم) ، الذى توقّف عن العمل ، ورمق الشبان الخمسة

(*) الهيبز : حركة شبابية معارضة للحروب ، ومنادية بالسلام ، نشأت فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا ، عقب حروب (فيتنام) ، فى الستينات ، ولكن أفرادها انحرفوا إلى حياة همجية ، وارتكب بعضهم جرائم مقزّزة .



ورأى بطرف عينه خمسة من شباب (الهيبز) الأمريكيين ، وقد توقّفوا بدرّاجاتهم البخارية ..

بنظرة صارمة ، فى حين رفع (برونكو) ذراعه ، وكأنما يحاول حماية ابنته ، وهو يقول :

ــ لا مجال للعبث هنا أيها السادة .. انصرفوا أرجوكم .

تبادل الشبان الخمسة نظرات ساخرة ، وأطلق أحدهم ضحكة عالية ، وهو يقول :

ــ ننصرف ؟!.. هل جُننت يا رجل ؟

ثم ركل صندوق سجائر بقدمه ، فقلب محتوياته كلها ، وبعثرها على أرضية المتجر ، فانفجر رفاقه ضاحكين فى سُخرية ..

وهنا انبعث صوت (أدهم) ، وهو يقول فى برود :

ــ اجمعها ، وأعِدها إلى الصندوق .

تطلّع الشبان الخمسة إلى (أدهم) فى سُخرية واستهتار ، وقال أحدهم ، وهو يومئ إليه بسبّابته :

ــ هل تحاول لعب دور البطولة يا صاح ؟

أجابه (أدهم) بكل برود وصرامة :

ــ قُلت لك اجمع السجائر وأعِدها إلى الصندوق .

تبادل الشبان نظرات دهشة ، ثم استلّ كل منهم مُدية حادّة ، وراحوا يعبثون بمدياتهم ، وهم يتطلّعون إلى (أدهم) فى سُخرية ، فهتف (برونكو) فى خوف :

ــ انصرفوا فقط أيها السادة .. أرجوكم .

أوقفه (أدهم) فى صرامة :

ــ لا تتضرّع إلى حثالة أوغاد يا سنيور (برونكو) .

هتف أحد الشبان فى غضب :

ــ أوغاد ؟!.. كيف تجرؤ أيها الـ......

قبل أن يتمّ عبارته ، كان (أدهم) قد قفز من السُّلّم الخشبىّ ، ودفع فرشاة الطلاء فى فم الشاب ، وهو يقول فى سُخرية :

ــ خطأ .. لا تتحدّث وفمك مملوء بالطلاء .

جُنّ جُنون الشبان كلهم ، وانتزع زميلهم الفرشاة من فمه ، وهو يصرخ :

ــ ستدفع الثمن غاليًا .

ورفع الشبان مُداهم فى وجه (أدهم) ..

أو هكذا أرادوا ..

لا أحد يدرى ..

كل ما رواه المارّة ، وما أجمع عليه الشهود ، هو أن فك أحد الشبان قد انفجر فجأة ، وأن أسنان الآخر قد طارت كالصواريخ ، فى حين انثنى الثالث صارخًا فى ألم ، وفقد الرابع استقامة أنفه ، أما الخامس فسيقضى عمره كله بفك مائل ..

لقد رأى الجميع (أدهم) يتحرَّك فجأة في سرعة خرافية ، جعلته أشبه بفيلم سينمائي ، يدار بسرعته القصوى ، ثم يتوقَّف بغتة ، وقد افترش الشبان الخمسة الأرض تحت قدميه ، والدماء تسيل من أنوفهم المحطَّمة وفكوكهم المكسورة ..

وفي هدوء ، انحنى (أدهم) يلتقط مُدية أحد الشبان ، وهو يقول :

— ينبغي أن يسنُّوا هنا قانونا يحظر حمل الأسلحة البيضاء .

ووافقه (برونكو) بإيماءة من رأسه ، ولم يفارقه الذُّهول بعد ، في حين تمتمت (ماريانا) في انبهار :

— يالك من رجل يا (أميجو) !!

لم تكد تكمل عبارتها ، حتى ارتفع صوت سيارة الشرطة ، التي برزت بغتة ، كما لو أنها كانت تقف على أهبة الاستعداد ، وتوقَّفت في عنف أمام المتجر ، وغادرها المفتش (جوزيه) ، وهو يقول في غضب :

— ماذا حدث ؟.. كيف يحدث شجار كهذا في طريق رئيسي ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول في هدوء :

— ومن قال إنه شجار ؟

تطلَّع إليه (جوزيه) لحظة في حَيْرة ، ثم أشار إلى الشبان الخمسة ، قائلًا في غضب مصطنع :

— وماذا تسمِّي هذا ؟.. ألم تضرب هؤلاء الشبان ؟

قال (أدهم) في هدوء ، وابتسامته لا تفارق شفتيه :

— لا .. لقد ضرب بعضهم البعض .

تطلَّع إليه (جوزيه) مرَّة أخرى في حَيْرة ، وكأنما يربكه عدم التزام (أدهم) بالخطَّة التي وضعها (كال) ، ثم قال في غضب حقيقي :

— لا .. أنت ضربتهم ، ولديَّ شهود .

رفع (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول في دهشة ساخرة :

— شهود ؟!.. بهذه السرعة .

عقد (جوزيه) حاجبيه في غضب ، وقال في حدَّة :

— إنني ألقي القبض عليك بتهمة التشاجر .

وبسرعة أحاطت قلَّة من الجنود المكسيكيين بـ(أدهم) ، ووضع بعضهم الأغلال في معصميه ، وهو يقول في هدوء ، ودون أدنى مقاومة :

— لقد هاجموا أوَّلا ، وكنت أدافع عن نفسي فحسب .

قال (جوزيه) في صرامة :

— سيقرّر الشهود هذا ، أو ينفونه .

ثم التفت إلى مساعديه ، قائلًا :

— أرسلوا فى طلب سيارة إسعاف .

والتفت إلى (أدهم) ، مستطردًا فى شماتة :

— سيكون من سوء حظك أن يلقى أحد هؤلاء الشبان مصرعه ، بسبب ضرباتك .

عندئذ فقط أدرك (أدهم) طبيعة الفخ ، الذى أوقعه فيه (كال) ..

وأدرك أن أحد الشبان الخمسة سيلقى مصرعه هذه الليلة ..

وأنه هو التالى ..

* * *



٦ — القادمة ..

هبطت الطائرة القادمة من (ألمانيا الغربية) فى مطار (مكسيكو) ، وراح ركابها ينهون إجراءات الوصول ، وعيونهم تكاد تلتهم تلك الفاتنة الساحرة ، التى فاق جمالها كل ماتغنّى به الشعراء ، وما أبدعه الفنانون ..

كانت تبدو أشبه بتحفة من تحف الخالق (عزّ وجلّ) ، رائعة الجمال ، مُبهرة الحُسْن ، ذات قوام بديع ، ووجه كثمار الجنة ..

وكان جواز سفرها الألمانى يحمل اسم (نورما) ..

(نورما كريتهال) ..

وفى تعالٍ واضح ، وتجاهل مقصود ، لم تعر (نورما) المتطلعين إليها اهتمامًا ، وهى تنهى إجراءات وصولها إلى (مكسيكو) ، ولم تكد تغادر دائرة الجمارك ، حتى استقبلها الطيّار (رودلف) ، وهو يبتسم ابتسامة واسعة ، قائلًا فى تخبث :

— مرحبًا بك فى (المكسيك) ياسنيوريتا (نورما) ، أرجو ألا تكونى قد نسيت ثمن ما أخبرتك به .

أجابته فى حزم :

ــ ليس قبل أن أتيقّن من صحة قولك العجيب هذا .

فتح لها باب السيارة ، وهو يقول :

ــ لقد رأيته بنفسى .

قالت فى صرامة ، وهى تتخذ مقعدها داخل السيارة :

ــ لن يمكننى أن أصدّق ، قبل أن أراه بنفسى .

دار حول مقدّمة السيارة ، وقال وهو يتخذ مقعده أمام عجلة القيادة ، ويدير المحرّك فى انفعال واضح :

ــ لقد طاردته فى شراسة ، قبل أن أتبيّن شخصيته ، ولقد دمّر هليوكوبتر (ماير) بقفزة مُذهلة بسيارته ، ثم أسقط طائرتى وهو أعزل من السلاح ، واستولى عليها .. عندئذ رأيت وجهه عن كثب ، وأصابنى الذهول .

عقدت حاجبيها الجميلين ، وهى تتمتم فى حيرة :

ــ ولكننى قرأت بنفسى التقارير السرّية لنصف مخابرات العالم ، وكلها تؤكد أنه قد لقى مصرعه فى انفجار وكر (بانشو سيلازر) .

قال فى لهفة :

ــ مُحال .. أتتصوّرين وجود رجل آخر ، فى العالم كله ، يملك نفس قدراته ، وجرأته الخرافية ؟

بقيت صامتة لحظات ، قبل أن تهزّ رأسها ، قائلة :

ــ مستحيل !

ابتسم (رودلف) فى خبث ، عندما بدا من الواضح أنها تقتنع برأيه تدريجيًا ، وقال فى لهفة :

ــ كنت سأخبر (كال) بالأمر ، فهم سيهتمون كثيرًا بالخبر فى (سكورپيون) ، ولاريب أن الزعيم الكبير سيدفع مليون دولار على الأقل ثمنًا له .

ابتسمت فى سُخرية ، وهى تقول :

ــ هذا طلبت منى مليونًا ونصفًا ؟!

اتسعت ابتسامته الخبيثة ، وهو يقول :

ــ إننى أعلم أنك أكثر مخلوق فى العالم أجمع ، يهتمّ بأمر (أدهم صبرى) ، كما أعلم أنك بعد أن تركت (الموساد) ، رحت تستغلين سحرك فى الإيقاع بمليونيرى (أوربا) ، وابتزاز أموالهم ، حتى صرت تملكين ثروة هائلة ، وسلسلة مصانع فى (ألمانيا الغربية) ، واسم (نورما كرينهال) ، بعد اسمك الحقيقى (سونيا جراهام) .

بدت الشراسة فى ملامحها بغتة ، وهى تقول :

ــ لو ذكرت هذا الاسم مرّة أخرى ، فسأنتزع لسانك من قاعدته .



اتسعت ابتسامته الخبيثة ، وهو يقول :
ــ إنني أعلم أنك أكثر مخلوق في العالم أجمع ، يهتم بأمر (أدهم صبرى) ..

هتف مخلصًا :
ــ لن أفعل .. أقسم لك .
ران عليهما صمت متوتر لحظة ، ثم قالت (سونيا جراهام) في صرامة :
ــ اسمع يا (رودلف) .. لقد تركت في (بون) أعمالًا تربو قيمتها على ستة ملايين دولار ، ولو أنك كنت واهمًا أو كاذبًا فسوف ......
قاطعها في حماس :
ــ مطلقًا .. لقد رأيته بنفسي ، وأنا واثق من أنه هو .. لايمكنني أن أخطئ تعرُّفه ، فلقد كنت أحمل صورته في جيبي دَوْمًا ، أيام كنت أعمل لحسابكم في (الموساد) .
عقدت حاجبيها ، وكأنما تحاول استيعاب الأمر ، ثم قالت في حزم :
ــ اسمع يا (رودلف) .. سأمنحك المليون ونصف المليون دولار ، ولكن بشرط واحد .
أسرع يقول :
ــ سأوافق على كل شروطك ، مقابل نصف هذا المبلغ .
قالت في صرامة :

— لابأس .. شرطى الوحيد هو ألا يعلم مخلوق واحد بأمر وجود (أدهم صبرى) على قيد الحياة ، لو أنه كذلك بالفعل ، سواى وأنت فقط .

قال على الفور :

— لكن .

التفتت إليه ، وهى تقول فى حزم :

— لتعلم إذن أننى لا أغفر لمن يخدعوننى أبدًا ، فلو أبلغت أى مخلوق آخر بالأمر ، فستكون فى هذا نهايتك .

ارتجف فى رُعب ، وانخفض صوته ، وهو يتمتم :

— بالتأكيد ياسنيوريتا .. بالتأكيد .

رَانَ عليهما ذلك الصمت المتوتر مرّة أخرى ، قبل أن تسأله فى صرامة :

— وأين هو الآن ؟

جاءتها إجابته كالقنبلة ، وهو يقول فى اقتضاب :

— فى السجن .

رفعت حاجبيها فى دهشة ، ثم لم تلبث أن استرخت فى مقعدها ، وهى تقول فى صوت خفيض ، يحمل الكثير من الثقة :

— إنه هو ..

* * *

التمعت عينا (كال) ببريق ظافر وحشىّ ، وهو يستمع إلى (جوزيه) ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ، لا تعكس أبدًا ذلك الانفعال العارم ، الذى تموج به نفسه ، وقال :

— إذن فقد نجحت خطتنا ، وأمكنك إلقاء القبض عليه ، وإيداعه السجن .

هزّ (جوزيه) رأسه فى قلق ، وهو يقول :

— إنه لم يقاوم إلقاء القبض عليه قطُّ .

قال (كال) ، وعيناه تزدادان التماعًا :

— عظيم .

هتف (جوزيه) :

— بل هو أمر مُقلق للغاية .

رفع (كال) أحد حاجبيه ، وهو يقول فى سُخرية :

— مُقلق ؟!

أجابه (جوزيه) فى حدّة :

— بالطبع ، فعدم مقاومته يَعْنى أمرًا من اثنين ، إما أنه شخص مثالى للغاية ، أو شخص يثق تمامًا فى أن إلقاء القبض عليه لن يَعْنى الكثير ، لأنه يعمل لحساب الحكومة نفسها .

ابتسم (كال) وهو يقول فى سُخرية :

— أو شخص يجهل مايعدّ له ، ويثق فى عدالة القضاء والشهود .

ثم لوّح بيده مستطردًا :

— ولأننا بدورنا نثق فى نزاهة القضاء ، فإن الأمر سيسير على نحو قانونى تمامًا .. لقد ضرب (أميجو) الشبان الخمسة ، وأفقدهم الوعى ، والليلة سيلقى أحدهم مصرعه ، ويقرّر الطبيب الشرعى أن ذلك قد حدث بسبب قبضات سنيور (أميجو) ، وفى صباح الغد يصدر القاضى أمرًا بترحيله إلى السجن ، وفى الطريق إلى السجن ، يحاول (أميجو) الفرار ، و.....

مدّ يده إلى الأمام ، وابتسم وهو يضمّ ثلاثة من أصابعه ، ويفرد سبّابته وإبهامه على هيئة مسدّس ، مكملًا :

— بانج .. بانج .

هتف (جوزيه) :

— نطلق عليه النار ؟!.. رائع ياسنيور (كال).. إنها خطّة عبقرية .

ابتسم (كال) ، وقال :

— وماذا تنتظر منّى ؟

ثم أضاف وعيناه تبرقان فى شهوة مزهوّة :

— إننى الزعيم .. الزعيم المنتظر ..

* * *

تطلّع طبيب المستشفى العام فى (كيواوا) إلى الرجل النحيل البارد الملامح ، الذى يقف أمامه جامدًا كتمثال من صلب ، وقال فى توتّر :

— ولكن ماتطلبه مستحيل ياسنيور (فرناندو) .

أجابه (فرناندو) بصوت أشدّ برودة من ملامحه :

— يبدو أنك قد أسأت الفهم ياسيّدى الطبيب ، فسنيور (كال) لايطلب .

وقست لهجته على نحو مخيف ، وهو يضيف :

— إنه يأمر .

ارتجفت عضلات وجه الطبيب ، وراح يفرك أصابعه فى توتّر بالغ ، وهو يقول :

— أعلم ذلك ياسنيور (فرناندو) ، ولكن مايأمر به سنيور (كال) هذه المرّة أمرًا بشعًا .

وبدا شديد العصبيّة ، وهو يضيف :

— إنه جريمة قتل .

داعب (فرناندو) مسدسه ، الذى ينتفخ على نحو واضح أسفل سترته ، وهو يقول بنفس اللهجة الباردة القاسية :

ــ ما رأيك بجعلهما جريمتين ؟

ارتجف الطبيب ، وشحب وجهه فى شدة ، وقد أدرك المعنى المستتر خلف عبارة (فرناندو) ، الذى مدّ يده إليه بمحقن صغير ، يحوى سائلاً شفافًا ، التقطه الطبيب بأصابع مرتجفة ، واتجه نحو فراش أحد الشبان الخمسة ، الفاقدى الوعى ، وكشف عن ذراع الشاب ، ودفع إبرة المحقن فى عروقه ، ودفع فيها ذلك السائل ، ثم أغمض عينيه ، وراح يرتجف فى قوة ، وهو يسحب إبرة المحقن ، مغمغمًا :

ــ فليغفر لى الله .. فليغفر لى الله .

ولم يكن يعلم لحظتها أنه لم يرتكب جريمة قتل فحسب ..

لقد وضع اللّبنة الأولى فى لحظة إعدام كبرى ..

إعدام (أدهم صبرى) ..

* * *

٧ ــ سونيا ..

نهض الحاكم (خوان) من خلف مكتبه ، وبدا الانبهار واضحًا فى وجهه وعينيه ، وهو يستقبل (سونيا) فى مكتبه ، ومدّ يده يصافحها ، هاتفًا :

ــ مرحبًا بك فى (كيراوا) ياسنيوريتا .. لكم يسعدنا أن تشرّف مدينتنا بزيارة فاتنة مثلك .

منحته (سونيا) أفضل ابتساماتها ، وأكثرها جاذبية ، وهى تصافحه بأطراف أصابعها فى رقّة ونعومة ، قبل أن تجلس على المقعد المقابل لمكتبه فى دلال وفتنة ، وتلتقط من علبة سجائرها سيجارة رفيعة ملوّنة ، وتدسّها بين شفتيها الجميلتين ، وهى تتطلّع إلى الحاكم بنظرة خاصة ، جعلته يهبّ ملتقطًا قدّاحته ، ثم ينحنى فى خفة ليشعل بها سيجارتها ، التى التقطت هى منها نفسًا عميقًا ، نفثته فى هواء الحجرة فى عمق ، قبل أن تبتسم ابتسامة ساحرة أخرى ، وتقول فى صوت خفيض :

ــ شكرًا .

تهلّلت أسارير الحاكم ، وكأنما حصل لتوّه على رئاسة الدولة كلها ، وعاد يجلس قائلاً فى حماس :

— نحن في خدمتك جميعًا .
ابتسمت في ثقة ، وقد أدركت أنها قد ربحت الجولة الأولى من المعركة بفتنتها كالمعتاد ، فاسترخت أكثر في مقعدها ، وعادت تنفث دُخان سيجارتها في عمق ، قبل أن تتطلّع بعينيها الساحرتين إلى عيني الحاكم مباشرة ، قائلة :
— كان لديّ مطلب هنا .
هتف الحاكم في حماس :
— كلنا رهن إشارتك ياسنيوريتا (نورما) ، فأنباء نجاحك وثرائك تملأ العقول والآذان ، ومدينتنا تهتم بتشجيع رءوس الأموال الأجنبية على الاستثمار ، و.....
قاطعته في نعومة :
— الأمر لايتعلّق بالاستثمار هذه المرّة .
بدت الدهشة على وجهه لحظة ، ثم لم يلبث أن سألها في اهتمام :
— ماذا إذن ؟
رَنَت إليه بعينيها في دلال ، وهي تقول :
— إنه شخص ..
تراجع الحاكم في مقعده ، وتسلّل بعض القلق إلى صوته وملامحه ، وهو يغمغم :

— شخص ؟!
أومأت برأسها إيجابًا ، قبل أن تستطرد :
— إنه رجل كان يعمل لديّ ، وسرق منّي مبلغًا كبيرًا من المال ، ثم فرّ إلى هنا .
اعتدل مرّة أخرى ، وسألها في اهتمام :
— من هو ؟
قالت وهي تدرس ملامحه :
— إنه رجل يُدعى (أميجو) ، كان يعمل في مزرعة رجل يُدعى (برونكو) ، و.....
قاطعها في دهشة :
— أتقصدين ذلك المجهول ؟
رفعت حاجبيها في دهشة حقيقية ، وهي تقول :
— مجهول ؟
أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :
— نعم .. لقد عثر عليه (برونكو) مصابًا في الصحراء ، وفاقد الذاكرة .. هذا ما أخبرني به (برونكو) بنفسه منذ ساعة واحدة ، وهو يتوسّط لإطلاق سراح (أميجو) هذا .
اعتدلت (سونيا) ، وهي تقول في انفعال :



ولكنها لم تتصوَّر أبدًا أنه فقد الذاكرة ..
لم تتصوَّر مطلقًا أن رجلًا مثل (أدهم صبرى) يمكنه أن يفقد شيئًا ..

ـ فاقد الذاكرة ؟!

لم يخطر هذا الاحتمال ببالها قطُّ ..

لم تضعه وسط عشرات الاحتمالات الأخرى ، التى درستها فى عمق ، منذ اتصل بها (رودلف) ؛ ليبلغها أن (أدهم صبرى) مازال على قيْد الحياة ..

لقد تصوَّرت أنها لخدعة ..

لخدعة من (رودلف) ..

أو من المخابرات العامة المصرية ..

تصوَّرت أن (أدهم) يؤدى مهمَّة جديدة ..

أن خبر موته مجرَّد لخطَّة محبوكة ..

أو جزء من لخطَّة ..

ولكنها لم تتصوَّر أبدًا أنه فقد الذاكرة ..

لم تتصوَّر مطلقًا أن رجلًا مثل (أدهم صبرى) يمكنه أن يفقد شيئًا ..

حتى ذاكرته ..

ولقد أربكها هذا كثيرًا ، حتى أنها ردَّدت مرَّة أخرى :

ـ فقد الذاكرة ؟!

تطلَّع إليها الحاكم فى حيْرة ، وهو يغمغم :

— هل يهمك أمره إلى هذا الحد ؟
غمغمت في عصبيّة :
— أكثر مما تتصوّر .
رمقها بنظرة شك وحذر ، وهو يقول :
— مجرّد أنه سرق أموالك .
نفثت دخان سيجارتها في حدّة ، وهي تقول :
— بل لأكثر من ذلك .
لمحت عشرات التساؤلات في عينيه ، فأضافت :
— لأسباب شخصية .
مطّ شفتيه ، وكأنما لم يرُق له هذا ، وقال في خفوت :
— ولكن موقفه شديد التعقيد الآن .
غمغمت في قلق :
— شديد التعقيد ؟!
أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :
— نعم .. وهذا ما دفع (برونكو) هذا إلى محاولة التوسّط له ، فلقد اشتبك (أميجو) هذا أمس مع خمسة شبان ، وأفقدهم الوعي جميعًا .
قالت في توتّر :

— أعلم ذلك .
رمقها بنظرة شك أخرى ، وأضاف :
— ولقد لقِيَ أحد هؤلاء الشبان مصرعه أمس .
هتفت في دهشة :
— ماذا ؟!
ثم اندفعت تقول في حدّة :
— ولكن هذا مستحيل ، إن أو.....
بترت عبارتها بغتة ، وحاولت أن تسترخي ثانية في مقعدها ، وهي تقول في توتّر ملحوظ :
— أعني أنه ليس من الطبيعي أن يلقى شاب مصرعه بسبب لكمة .
مطّ الحاكم شفتيه ، وقلّب كفّيه قائلًا :
— ولكن هذا ما حدث .
ثم مال نحوها ، مستطردًا في حزم :
— لقد قرّر الطبيب الشرعي أن الضربة هي سبب الوفاة ، وبناءً على ذلك أصدر القاضي أمرًا بالتحفّظ المطلق على (أميجو) ، خاصة وأنه لايحمل أوراقًا شخصية ، أو بطاقة هُويّة ، وسيتمّ ترحيله إلى السجن العام مساء اليوم ، تحت حراسة الشرطة .

عقدت (سونيا) حاجبيها الجميلين ، وهى تتراجع فى مقعدها ، وتنفث دُخان سيجارتها فى ضيق ..

لقد فهمت لُعبة (كال) ..

فهمتها بما لها من خبرة سابقة فى مجال الخداع والتحايل ..

وبما أنبأها به (رودلف) عن خلفيّات (كال) ..

وأدركت فى هذه اللحظة أن (كال) هذا أخطبوط ..

أخطبوط رهيب ..

إنه يسيطر على القانون والطب والقضاء ..

أذرعه تمتد إلى كل مكان ..

إلى كل ركن فى (كيواوا) ..

وأدركت فى الوقت نفسه الجزء الباقى من اللُّعبة ..

الجزء الخاص بقتل المتهم ، وهو يحاول الفرار ، فى أثناء نقله إلى السجن العام ..

هى نفسها كانت ستصنع لحظة مماثلة فى الظروف نفسها ..

ولا يفهم الذئاب سوى الذئاب ..

وفى أعماقها ، شعرت (سونيا) أن لُعبة الذئاب قد بدأت ..

وسرت فى جسدها نشوة الصراع ، وهى تسترخى فى مقعدها ، وترسم على وجهها أكبر قدر من اللامبالاة ، قائلة :

ـــ يا للخسارة !!

شعر الحاكم بدهشة بالغة ، إزاء ذلك التحوُّل المفاجئ ، فغمغم :

ـــ ألا يقلقك أمره ؟

مطّت شفتيها ، وهى تقول فى استهتار :

ـــ إنه يستحق ما أصابه .

ثم شردت ببصرها ، مستطردة :

ـــ آه لو يمكننى رؤية الهزيمة على وجهه الآن .. هذا يشفى غليلى .

والتفتت إلى الحاكم بغتة ، ومنحته أكثر ابتساماتها دلالاً ، وهى تردف :

ـــ هل يمكننى هذا ؟

وأمام سحر ابتسامتها ، وجد نفسه يهتف فى حماس :

ـــ بالتأكيد .

والتقط ورقة من أمامه ، وخطّ عليها بضع كلمات ، ذيّلها بتوقيعه ، ثم ناولها إليها ، قائلاً :

ـــ ها هو ذا تصريح بمقابلته فى سجنه .

تناولت الورقة ، وهى تقول فى دلال :

— شكرًا ياسنيور (خوان) .. كنت أعلم أنك لن تخذلني .

وأطبقت قبضتها على الورقة في قوة ، طوال طريقها من منزل الحاكم إلى سجن الشرطة ، حتى أن (رودلف) قال ضاحكًا :

— اطمئني .. لن ينتزعها أحد منك .

أجابته في صرامة :

— قُدِ السيارة في صمت .

وفي أعماقها راحت المشاعر تتصارع وتمتزج وتتنافر ..

إنها في طريقها الآن لرؤية (أدهم صبري) ..

الرجل الوحيد الذي أذاقها الهزيمة والمرارة ..

الرجل الوحيد الذي كرهته وأحبته في الوقت ذاته ..

كم يرجف هذا عروقها !!..

كم يملأ نفسها بخوف مُبهم عجيب !!..

إنها في هذه اللحظة تتمنى رؤيته ، وتخشاها في الوقت ذاته ..

تتمنى أن تجده على قيد الحياة ..

وأن تقتله ..

تحلم بأن تطلق النار على قلبه ..

وبأن تُلقِيَ نفسها بين ذراعيه ..

أي تناقض هذا ؟..

أيّة مشاعر تلك التي تجعلنا نحبُّ ونكره في آن واحد ؟..

بل أي جُنُون ؟..

ولكن ماذا لو أنه لم يفقد ذاكرته حقًا ؟..

راوَدها ذلك الخاطر بغتة ، فارتجفت ..

نعم .. ماذا لو أنه يخدع الجميع ؟..

لن يدهشها هذا ، فلقد اعتادت من (أدهم) دائمًا أن يأتي ما لا يتوقعه الجميع .

حتى عندما يموت ..

ولكن لماذا تتمنى لو أنه قد فقد ذاكرته حقًا ؟..

لماذا ؟..

توارت كل أفكارها في عقلها دفعة واحدة ، عندما توقفت السيارة أمام مركز الشرطة الرئيسي ، وقال (رودلف) :

— لقد وصلنا .

قالها بكل اللهفة التي تملأ نفسه لنيل المكافأة ..

بكل شراهته للمال ..

بكل الروح الصهيونية المستترة خلف اسمه الألماني ..

وانتفضت (سونيا) على الرغم منها ..

لقد حانت لحظة اللقاء ..

وحانت المواجهة ..

لقد استقبلها (چوزيه) فى حرص ، وتناول منها تصريح الزيارة ، وراجعه بعشرات المرّات فى حذر ، قبل أن يسألها فى شك :

— وما صلتك بـ(أميجو) هذا ؟

أجابته فى برود :

— إنه صديق قديم .

مطّ شفتيه ، قائلاً :

— يا له من محظوظ !

ثم أضاف فى حدّة :

— ولكننا سنفتشك أوّلا ، فقد تخفين سلاحًا ، أو.....

قاطعته فى ضجر :

— هلمّ إذن ، فأنا أكره الانتظار .

تطلّع إلى قوامها الفاتن ، وهو يزدرد لعابه فى صعوبة ، ثم تمتم :

— ستقوم بذلك إحدى الزميلات بالطبع .

أشار إلى شابة سمراء ، ترتدى زىّ الشرطة المكسيكية ، فاتجهت نحو (سونيا) ، وتأمّلت ملامحها الساحرة فى حسد ، ثم غمغمت وهى تفتشها :

— الواقع أنه يستحق ، فهو أيضًا وسيم للغاية .

غمغمت (سونيا) فى برود :

— أعلم ذلك .

انتهت الفتاة من تفتيشها ، والتفتت إلى (چوزيه) قائلة :

— إنها لا تحمل شيئًا .

عقد حاجبيه فى ضيق ، كما لو كان يتمنّى أن يُوقع بـ(سونيا) فى جريمة ما ، ثم قال فى صرامة :

— ستزورينه خمس دقائق فحسب .

قالت (سونيا) ، وقد ملأ الانفعال نفسها تمامًا :

— إنها تكفينى .

تأمّلتها السمراء مرّة أخرى ، ثم قادتها إلى زنزانة صغيرة ، فتحت بابها ، ودفعتها داخلها ، وهى تقول :

— زيارة خاصة لك أيها الوسيم .

التفت (أدهم) فى هدوء ، وخفق قلب (سونيا) فى عنف ..

إنه حقًا على قيد الحياة .

وهاهى ذى تقف وجهًا لوجه أمامه ..

أمام (أدهم صبرى) ..

* * *



التفت (أدهم) فى هدوء ، وخفق قلب (سونيا) فى عنف ..
إنه حقًا على قيد الحياة ..

٨ — ذكريات ..

بدت (منى) شديدة العصبيّة ، عندما بلغ (أدهم) بروايته هذا الحد ، وغادرت فراشها ، الذى بقيت تستلقى فيه منذ رأت (أدهم)، ووقفت أمام مرآتها ، تحاول تصفيف شعرها فى توتُّر ، وهى تسأله :

— وماذا فعلت عند رؤيتك (سونيا)؟

ظلّ يتطلّع عبْر النافذة ، وهو يقول :

— وماذا تتوقّعين أن أفعل ؟

أزاحت خصلة من شعرها الأسود عن جبينها فى عصبيّة ، وهى تقول :

— إننى أعرف أن (سونيا) فاتنة ، شديدة الحسن ، وأنه من العسير أن يقاوم رجل — أى رجل — فتنتها وسحرها ، ولن ألومك لو أنك .....

قاطعها فى هدوء :

— وهل عهدتنى رجلاً تفقده النساء صوابه ؟

قالت فى توتُّر :

— (سونيا) ليست امرأة عادية ، ولقد كنت فاقد الذاكرة .

قال فى خفوت :

— ربّما .

ثم أضاف وهو يتطلّع إليها فى حنان :

— ولكنها ليست الطراز الذى أفضّله .

أدارت عينيها إليه ، وتركت خصلة شعرها تسقط عل عينيها ، وهى تتمتم فى خفوت ولهفة :

— حقًّا ؟!

ابتسم مغمغمًا :

— هل تسألين ؟!

تخضّب وجهها بحمرة الخجل ، وأشاحت بوجهها فى حياء ، قائلة فى ضيق :

— ولكنك تزوّجتها .

لاذ بالصمت لحظات ، ثم أجاب وهو يدير وجهه إلى النافذة :

— التسلسل المنطقى للأحداث هو الذى دفعنى إلى هذا .

سألته فى حنق :

ـــ أىّ تسلسل ؟

تنهّد فى عمق ، وراح يراقب قطرات المطر المتساقطة لحظات ، ثم عاد يروى القصة ..

قصته ..

* * *

لم ينبس أحدهما ببنتِ شفَة ..

لم ينطق (أدهم) بحرف ..

لم تنفرج شفتا (سونيا) عن همسة ..

لقد بقىَ الاثنان صامتين جامدين ، كتمثالين من رخام ، وكل منهما يتطلّع إلى وجه الآخر ..

وفى أعماق (سونيا) ، كان هناك قلب يخفق فى عُنف ..

قلب يتصارع مابين الحبّ والكراهية ..

وفى أعماق (أدهم) ، كانت هناك حَيْرة ..

حَيْرة رجل فقد ذاكرته ..

وفى هدوء ، قطع (أدهم) حبل الصمت ، قائلاً :

ـــ سيّدتى .. هل سبق أن التقينا ؟

ارتجف صوتها ، وهى تسأله :

ـــ هل تذكرنى ؟

تمعّن (أدهم) ملامحها طويلاً ..

نعم ..

إنه يذكرها إلى حدٍّ ما ..

يذكر ذلك الوجه الفاتن الساحر ..

إنه لايذكر متى التقيا ..

ولا كيف ..

كل مايملأ ذاكرته ، وهو يتطلّع إلى وجهها عبارة عن صراعات عنيفة ..

وقتال ..

وفى كل خلجة من خلجاته ، ارتسمت حَيْرة ..

حَيْرة أزالت من قلب (سونيا) كل ذرّة شك تجاهه ..

حَيْرة أنبأتها أنه قد فقد ذاكرته حقًّا ..

وأنه ليس عدوّها السابق ..

بل مجرّد رجل ..

رجل بلا ذاكرة ..

وبنفس الحَيْرة ، أجاب (أدهم) :

ـــ لست أدرى ياسيّدتى .. لست أدرى .. ربما لو ذكرت اسمك .

كادت تهتف باسمها الحقيقى ، ولكن شيئًا من الحذر فى أعماقها جعلها تجيب :

ـ اسمى (نورما) .. (نورما كريتهال) .

عقد حاجبيه فى محاولة للتذكُّر ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه بمزيد من الحَيْرة ، مغمغمًا :

ـ لست أذكر الاسم للأسف .

ثم رفع عينيه إليها ، وسألها فى اهتمام :

ـ ولكن ماذا عنّى أنا ؟.. إنك تعرفيننى .. أليس كذلك ؟

أومأت برأسها إيجابًا فى بطء ، فسألها فى لهفة :

ـ من أنا إذن ؟.. ما اسمى ؟.. إلى ماذا أنتمى ؟

ردّدت فى رَهبة :

ـ اسمك ؟!

وفجأة ، دوّى صوت (جوزيه) فى صرامة :

ـ انتهت الزيارة .

تنهّدت فى ارتياح ؛ لأن (جوزيه) قد وصل فى هذه اللحظة بالذات ، لينقذها من ارتباكها ، فى حين عقد (أدهم) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ انتظر قليلًا يا رجل .

برز عشرة رجال مسلَّحين بغتة ، وصوّبوا أسلحتهم نحو (أدهم) فى حَذَر وتحفُّز ، و (جوزيه) يجذب (سونيا) إلى الخارج ، قائلًا فى حدّة :

ـ لا .. لقد انتهت الزيارة .

هتف (أدهم) .

ـ ما اسمى الحقيقى ياسنيورا (نورما) ؟

لم تجب (سونيا) ، بل أسرعت تبتعد ..

لقد أدركت أنه فقد ذاكرته حقًّا ..

ولكنها تحتاج إلى وقت لتحديد موقفها منه ..

وقت طويل ..

أما هو ، فقد أحنقه انصرافها دون أن تبلغه اسمه الحقيقى ..

إنه يحتاج إلى معرفته ..

إلى تعرُّف هُوِيَّته ..

وفى ضيق ، جلس فى ركن زنزانته ، وراح عقله يستعيد ما حدث منذ لحظات فى إصرار ، ليبحث فيما ينتظره ..

إنه يعلم أن سجنه هذا مجرّد خطوة ، ضمن خطّة مُحْكَمة ، وضعها (كال) ..

خطة تهدف إلى قتله ، والتخلص منه ..

لقد أخبره (برونكو) من نافذة الزنزانة أن الشاب قد لقىَ مصرعه ، وأن القاضى قد أصدر أمرًا بالتحفُّظ عليه هو ، وترحيله إلى السجن العام ..

ولقد استنتج الخطوة التالية ..

إن (كال) يرغب فى تغليف كل شىء بإطار قانونى ، لهذا لم يطلب من (جوزيه) ورجاله قتله فى زنزانة قسم الشرطة ، بل سيدفعهم إلى قتله فى أثناء عملية ترحيله إلى السجن العام ..

عليه أن يستعدَّ لذلك ..

وأن يحمى نفسه ..

وفى هدوء يتناقض مع دقَّة الموقف ، استرخى (أدهم) ، وراح يعدّ خطَّته ..

كالمعتاد ..

* * *

انطلق (رودلف) بالسيارة ، وهو يسأل (سونيا) فى لهفة وانفعال :

— هل التقيت به ؟.. هل تأكَّدت من صحة أخبارى ؟

أجابته فى اقتضاب :

— نعم .

تهلَّلت أساريره ، وهو يقول :

— هل سأحصل على المال إذن ؟

تطلَّعت إليه بطرف عينيها لحظة ، ثم قالت :

— بالتأكيد .

هتف فى سعادة :

— هل ننطلق إلى البنك ؟

صمتت لحظة ، ثم أجابته :

— بل إلى منطقة منعزلة .. إننى أحتاج إلى بعض التفكير .

غمغم فى ضيق :

— بالتأكيد .. لقد كانت صدمة .. لقد انتابنى الشعور ذاته عند رؤيته .

انطلق بالسيارة إلى منطقة منعزلة ، قريبة من الصحراء ، وهو يشعر بحنق بالغ ، وبعدم القُدرة على الصبر لنيل مكافأته الضخمة ، ولم يكد يوقف السيارة على مشارف صحراء (المكسيك) ، حتى التفت إلى (سونيا) ، يسألها :

— ماذا ستفعلين ؟

زفرت فى عمق ، وتطلَّعت طويلًا إلى الصحراء الممتدَّة بلا نهاية ، قبل أن تقول فى صوت خافت :

— إننى أشعر بالحَيْرة .

سألها فى دهشة :

— لماذا ؟.. إنها الفرصة التى تنتظرينها للعودة إلى صفوف (الموساد).. لقد فصلوك بسبب هذا الرجل ، وسيعيدونك كالملكة ، عندما تذهبين به إليهم ظافرة .

غمغمت وهى تشيح بوجهها :

— لم أعُد بحاجة إلى (الموساد) .

هتف فى دهشة :

— عجبًا !!.. لقد تصوَّرت ..

قاطعته مستطردة :

— لقد صرت سيِّدة أعمال ثرية ، أربح فى اليوم الواحد مايفوق راتبى من (الموساد) لعام كامل .

هتف :

— وماذا عن انتقامك من (أدهم صبرى) ؟

غمغمت شاردة :

— انتقامى ؟

ولاذت بالصمت لحظات ، قبل أن تستطرد بلهجة مغايرة :

— أتعلم يا (رودلف) أننى أتساءل طيلة عمرى عن شعورى الحقيقى تجاه (أدهم صبرى) هذا ؟ فقبيل ظهوره فى حياتى كنت واحدة من القليلات فى (الموساد) ، اللاتى لم يذُقن هزيمة واحدة فى عملهن ، ولم يكد هو يظهر فى الصورة ، بقُدراته الفائقة ، وشجاعته النادرة ، ومهاراته الخرافية ، حتى انعكست الآية ، فلم أذُق نصرًا واحدًا ضده ، ولم أنعم بظفر واحد فى كل صراعاتى معه .

غمغم (رودلف) :

— لاريب أنك تكرهينه بشدة .

ابتسمت ابتسامة شاردة ، وهى تقول :

— ربما كان هذا شعورًا طبيعيًا بالنسبة لرجل يقاتل رجلًا ، ولكنكم تنسون جميعًا حقيقة بالغة الأهمية ، ألا وهى أننى أنثى .. وكل أنثى — مهما بلغت قوتها — تحتاج إلى رجل يُشعرها بضعفها .

وتنهَّدت فى عمق ، قبل أن تضيف :

— والرجل الوحيد فى هذا الكَوْن ، الذى منحنى الشعور بضعف الأنوثة ، هو (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

تراجع (رودلف) ، هاتفًا فى استنكار :

— (سونيا) .. هل تعشقين هذا المصرى ؟!

أجابته فى حدّة :

— نعم .. هذا ما تأكّدت منه عندما التقيت به منذ قليل .. إننى أحبّ (أدهم صبرى) .. أحبُّه من أعمق أعماق ، ولم تكن رغبتى الدائمة فى تدميره إلا نوعًا من التعبير عن هذا الحبّ ، وسخطًا ، لأنه لا يشعر بى أبدًا كأنثى ، بل كخصم يقاتله .

ولوّحت بذراعها فى توتّر ، مستطردة :

— أتعلم بِمَ شعرت عندما رأيته أمامى ؟.. لقد تمنّيت أن ألقىَ نفسى بين ذراعيه .

هتف ذاهلًا :

— أنت ؟!.. (سونيا جراهام) تتمنّى أن تلقىَ نفسها بين ذراعى رجل ؟

أجابته فى حدّة :

— ولِمَ لا ؟!.. ألست امرأة ؟

أجابها :

— بلى ، ولكن عظماء العالم أجمع تراموْا تحت قدميك ، وأغنى أغنياء الدنيا كانوا رهن إشارتك .

هتفت ساخطة :

— كلهم تعاملوا معى كفانية .

ثم أضافت فى خفوت :

— فيما عداه .

وتنهّدت تنهيدة حارّة ، قبل أن تضيف :

— حتى فى صراعاتنا ، كان مهذّبًا جدًّا .. هل تصدّق ؟

عقد (رودلف) حاجبيه ، وقال فى ضيق :

— اسمعى يا (سونيا) .. اعشقى (أدهم صبرى) هذا ، أو اقتليه شرّ قتلة .. لا يعنينى هذا أو ذاك ، فقط امنحينى مكافأتى ، وسأعود لأتقاعد فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وأنعم بالثراء .

بدا وكأنها لم تسمع عبارته ، وهى تتابع :

— أتعلم أيّة فرصة تلك ؟.. لقد فقد (أدهم) ذاكرته ، ولم يَعُدْ رجل المخابرات المصرى ، الذى يتقاتل معى دوْمًا .. لقد صار عجينة ليّنة ، يسهل تشكيلها .

مطّ (رودلف) شفتيه ، وهو يقول مستنكرًا :

— هذا الشيطان عجينة ليّنة .

واصلت هى فى نشوة :

— تصوَّر مايمكن أن يحدث لو أمكننى جذبه إلىَّ .. يمكننا أن نتزوَّج ، وأن أنعم أخيرًا بحياة هادئة جميلة ، مع الرجل الوحيد ، الذى أحببته فى عمرى كله .

عقد حاجبيه فى حَنَق ، وهو يقول :

— حسنًا .. هنيئًا لكما .. ماذا عن مكافأتى أنا ؟

التفتت إليه ، قائلة فى هدوء :

— أتعلم ماالعقبة الوحيدة ، فى سبيل تحقيق هذا الحُلم يا (رودلف) ؟

سألها فى ضجر :

— ماهى ؟

فجأة ، ارتفع مسدَّسها فى وجهه ، وهى تقول فى شراسة مباغتة :

— أنت .

اتسعت عيناه فى رُعب ، والتصق بمقعده ، وهو يلوِّح بكفَّيه ، هاتفًا :

— أنا ؟!.. لماذا يا (سونيا) ؟!.. إننى لاأرفض زواجك من هذا المصرى ، ولا حتى حبّك له .. سأحصل على المبلغ وأنصرف .

جذبت إبرة مسدَّسها فى هدوء ، وهى تقول :

— ولكنك تعرف السِّر يا (رودلف) .. تعرف أن (أدهم صبرى) مازال على قيد الحياة ، وأنت تعلم القاعدة : « السِّر لايبقى سرًّا ، إذا ماتجاوز فردًا واحدًا » .

لوَّح (رودلف) بكفَّيه فى رُعب هائل ، وهو يهتف :

— لن أخبر مخلوقًا واحدًا يا (سونيا) .. أقسم لك .. إننى حتى لا أريد المال .. احتفظى به ، ولكن اتركينى أحيا .. أرجوك .

قالت فى صرامة :

— غادر السيارة .

أطاعها (رودلف) فى سرعة ، ووقف خارج السيارة يرتجف ، وهو يتطلَّع إلى فُوَّهة مسدَّسها المصوَّبة إلى رأسه ، ويهتف بلهجة أقرب إلى البكاء :

— أرجوك يا (سونيا) .. أرجوك .. أقسم لك إننى لن أنطق بحرف واحد ، وإننى .....

أخرسته رصاصة أطلقتها (سونيا) بكل هدوء ، وتركتها تخترق حلق (رودلف) ، وتنفذ من جمجمته فى مؤخرة رأسه ، مع بعض خلايا من مخه ، قبل أن يسقط الطيَّار أرضًا جثة هامدة ..



أخرسته رصاصة أطلقتها (سونيا) بكل هدوء ، وتركتها تخترق حلق (رودلف) ، وتنفذ من جمجمته فى مؤخرة رأسه ..

وبكل هدوء ، انتقلت (سونيا) إلى مقعد القيادة ، وأدارت محرّك السيارة ، قائلة :

ــ لست أحبّ أن ألوّث السيارة بالدماء .

ثم انطلقت عائدة إلى (كيواوا) ..

إلى الرجل الذى تحبّ ..

***



٩ ــ صفقة ..

صبَّ (كال) لنفسه كأسًا من الشراب ، وراح يرتشفه فى بطء ، وهو يتأمّل محتويات حجرة المكتب الفاخرة ، التى يجلس فيها ..

لقد كانت منذ أيام حجرة (توماس) ..

والآن هى حجرته ..

لقد ارتفع درجة فى سبيل هدفه ..

وقريبًا سيصعد إلى الدرجة التالية ..

ثم التالية ..

والتالية ..

حتى يستقرّ على عرش (سكوربيون) ..

هذا هو طموحه الحقيقى ..

انتزعه من أحلامه بغتة صوت (فرناندو) ، وهو يتنحنح قائلًا :

ــ مساء الخير أيها الزعيم .

رفع (كال) عينيه إليه فى هدوء ، وارتشف رشفة أخرى من كأسه ، قبل أن يقول :

ــ مساء الخير يا (فرناندو) .. هل جمعت المعلومات المطلوبة ؟

أجابه (فرناندو) بلهجته الباردة :

ــ تقريبًا أيها الزعيم .

استرخىٰ (كال) فى مقعده ، وقال وهو يمسك كأسه بكفّيه :

ــ هاتِ مالديك .

قال (فرناندو) :

ــ جواز سفر تلك السيّدة ألمانى ، يحمل اسم (نورما كرينهال) ، وهى سيدة أعمال ألمانية ثرية ، ظهرت منذ مايقرب من عام أو يزيد ، وجمعت ثروة هائلة فى وقت قصير ، ويرجّح مندوبنا هناك أنها ليست ألمانية الأصل ، على الرغم من أنها تتحدّث الألمانية بطلاقة كاملة ، وتحوز ثقة كل سلطات الأمن هناك ، ولقد زارت السيّدة (نورما) الحاكم (خوان) هذا الصباح ، وطلبت منه إذنًا بمقابلة (أميجو) فى سجنه ، وكان يقود سيارتها طيّارنا (رودلف) .

عقد (كال) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ (رودلف) ؟! .. هل يعرفها من قبل ؟

أجابه (فرناندو) :

ــ هذا محتمل بالتأكيد ، فهو أيضًا ألماني .

قال (كال) في حزم :

ــ لابد من استجوابه على الفور .

أجاب (فرناندو) بنفس اللهجة الباردة ، التي لا تحمل أيَّة انفعالات :

ــ لقد فقدنا أثره ، فلقد اختفى تمامًا منذ الظهر ، والسيِّدة (نورما) تقود سيارتها بنفسها الآن ، ولكن ليس هذا هو المهم ، وإنما أهم ما في هذا الأمر ، هو أن (أميجو) راح يهتف سائلًا (نورما) عن اسمه الحقيقي ، وهي تغادر زنزانته .

اعتدل (كال) ، وسأله في اهتمام :

ــ يسألها عن اسمه ؟!.. وهل أخبرته به ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لا .. لقد أصرَّ (جوزيه) على إنهاء الزيارة .

عقد (كال) حاجبيه ، وهو يقول في غضب :

ــ الغبيّ !!..

ثم نهض من مقعده ، وهو يهتف :

ــ هذا الأمر عجيب جدًا يا (فرناندو) ، فسؤال (أميجو) يعني أنه يجهل حقيقة شخصيته ، وقد يشير هذا إلى فقدانه الذاكرة على نحو ما ، ومن المؤكَّد أن (رودلف) قد تعرَّفه ، وأنه يعلم مدى اهتمام (نورما كرينهال) هذه بتعرُّفه أيضًا ، لذا فقد أرسل يستدعيها ، وحاولت هي أن تلتقي بـ(أميجو) في سجنه .. فلماذا ؟

انعقد حاجباه في شدة ، وبدا من الواضح أنه يفكِّر في عمق ، ولزم (فرناندو) الصمت تمامًا ، احترامًا لصمت زعيمه ، حتى دلف أحد رجال (كال) إلى الحجرة ، وتنحنح قبل أن يقول :

ــ هناك سيِّدة ترغب في مقابلتك أيها الزعيم .

التفت إليه (كال) ، يسأله في اهتمام :

ــ سيِّدة ؟!.. من هي ؟

أجابه الرجل :

ــ إنها فاتنة ألمانية ، تُدعى (نورما كرينهال) .

اتسعت عينا (كال) ، وبرقتا ببريق عجيب ، في حين عقد (فرناندو) حاجبيه في شكٍّ ، دون أن ينبس ببنتِ شفة ، فالتفت إليه (كال) ، قائلًا في انفعال :

— لقد جاءت إلى هنا بنفسها .

ثم أضاف فى حزم :

— اسمع يا (فرناندو) .. حاول أن تحصل على صورة لـ (أميجو) هذا ، وارسلها بـ (الفاكسميل)(*) إلى القيادة فى (تيرور)(**) ، واطلب منهم موافاتنا بكل مايعلمونه عن صاحبها ، وعلى وجه السرعة .

أومأ (فرناندو) برأسه صاغرًا ، واتجه على الفور ، لتنفيذ الأمر ، فى حين التفت (كال) إلى الرجل الآخر ، وقال :

— دَعْها تدخل .

صبَّ لنفسه كأسًا أخرى ، وكأنما يُدارى بارتشافها انفعالاته ، ولكنه لم يكد ينظر إلى (سونيا) بفتنتها وسحرها ، حتى اتسعت عيناه فى انبهار ، وهو يهتف مشدوهًا :

— رَبَّاه !!

(*) الفاكسميل : جهاز يستخدم لنقل الصور والرسائل عن طريق الهاتف ، بواسطة تحويلها إلى ذبذبات صوتية ، يتم استرجاعها كنقاط ضوئية ، فى جهة الاستقبال .

(**) راجع قصة (أرض الأهوال) .. المغامرة رقم (١٣) .

كانت أجمل امرأة وقعت عليها عيناه طيلة عمره ، وأكثرهن فتنة وإغراءً ، حتى أنه لم يملك نفسه من الاندفاع نحوها ، وهو يهتف :

— ياله من شرف ياسيِّدتى !

تركته يلثم أناملها بشفاه محمُومة ، ثم سحبت يدها فى رفق ، وجلست على أقرب مقعد إليها ، وهى تقول :

— إنها زيارة عمل ياسنيور (كال) .

أجابها مبهورًا ، وهو يجلس قبالتها :

— تسعدنى زيارتك لأى سبب ياسيِّدتى .

أسعدها أن يبهره جمالها ، فاتكأت على مسند مقعدها ، ومالت نحوه ، وهى تقول :

— إنها فى الواقع صفقة .

راح انبهاره بها يخفت تدريجيًا ، مع صوت طموحاته ، التى تصرخ فى أعماقه ، فتراجع مبعدًا وجهه عن أنفاسها ، وهو يقول :

— صفقة ؟!.. أى نوع من الصفقات ؟

أدركت من حركته أن جمالها لن يصنع الكثير هذه المرَّة ، فتراجعت بدورها ، وهى تقول بلهجة عملية :

— إنها كما يقولون : « صفقة للطرفين » ، فأنت تمتلك بضاعة لاتفيدك كثيرًا ، وأنا أحتاج إليها ، ومستعدة لدفع ثمنها نقدًا ، وعلى الفور .

ابتسم وقد بدأ يستوعب الأمر ، وقال :

— وما نوع هذه البضاعة ؟

أجابته فى هدوء :

— إنه رجل .. رجل يُدعى (أميجو) .

رفع حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

— (أميجو) ؟!.. وهل أعرفه ؟

ابتسمت بدورها فى خُبث ، وهى تقول :

— دعنا نجيد لعب دور رجال الأعمال ياسنيور (كال) .. الذين لايضيعون أوقاتهم فى مهاترات ومحاورات ومناورات ، بل يكشفون الأوراق كلها على المائدة دفعة واحدة .

راق له أسلوبها ، فنهض يقول :

— ما رأيك فى كأس من الخمر ؟

أجابته فى هدوء

— إننى أفضّل (الفودكا) .

رفع حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

— (الفودكا) ؟!.. لم أتصوّر أبدًا أن فاتنة رقيقة مثلك يمكنها أن تفضّل هذا النوع من الخمور ، حيث يبلغ تركيز الكحول فيه تسعين فى المائة تقريبًا .

قالت فى ضجر :

— دعك منه إذن ، وأخبرنى .. كم تريد ثمنًا لـ (أميجو) ؟

قال مبتسمًا فى سُخرية :

— ثمنًا له ؟!.. إننى لست تاجر رقيق ياسيدتى .. إن (أميجو) هذا بين يدى العدالة الآن .

بدت الصرامة فى عينيها وصوتها ، وهى تقول :

— ألَمْ نتفق على كشف الأوراق ؟

قال وهو يصبُّ كأسًا من الخمر ، ويناولها لها :

— معذرة .. لست أذكر أننا قد اتفقنا على شىء .. لقد طلبت أنت هذا فحسب ، ولكننى لم أوافقك الرأى .

قالت فى حدّة :

— فليكن ، ولكننى سأكشف كل الأوراق من جهتى أنا .. إننى أعلم أنك أخطبوط فى هذه المدينة ، وأنك تحيط كل شىء فيها بأذرعك ، وأنت أنت مدبّر ذلك الأمر ، الذى أوقعت فيه (أميجو) .

قال مبتسمًا :

ــ وما المطلوب منى الآن ؟

قالت فى عصبيَّة :

ــ أن تحدِّد ثمن حياة (أميجو) .

رانَ عليهما الصمت لحظات ، وهو يتطلَّع إليها ، ثم مال نحوها ، قائلًا :

ــ قد أتنازل عنه مجانًا لو .....

سألته فى لهفة :

ــ لو ماذا ؟

تراجع قائلًا فى بطء :

ــ لو أجبت على أسئلتى .

عقدت حاجبيها الجميلين ، وهى تقول :

ــ ماذا تريد ؟

سألها على الفور :

ــ لماذا تريدين (أميجو) ؟

أجابته دون ذرَّة واحدة من التردُّد :

ــ لأننى أحبه .

لم يكن يتوقَّع هذا الجواب قطُّ ، ولا حتى تلك اللهجة الصادقة ، التى نطقته بها (سونيا) ، لذا فقد ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يقول :

ــ تحبِّينه ؟!

ثم لم يلبث أن عقدهما ، مستطردًا فى حدَّة :

ــ ولكن هذا مستحيل !

قالت فى ضيق :

ــ مستحيل أن أحبَّه ؟

قال فى حدَّة :

ــ بل مستحيل أن يكون هذا هو السبب الحقيقى .. أنا واثق من أن (أميجو) هذا ليس رجلًا عاديًّا .. لقد هزم رجالنا فى كل مرَّة حاولوا الفتك به ، وأسقط لنا طائرتى هليوكوبتر وهو أعزل ، و .....

قاطعته فى حدَّة مماثلة :

ــ ومن قال إنه شخص عادى ؟

حدَّق فى وجهها لحظة ، ثم قال بصوت خنقه الانفعال :

ــ من هو إذن ؟.. ما اسمه ؟.. إلى ماذا ينتمى ؟

صمتت لحظة ، قبل أن تجيب :

— إنه يُدعى (موشى) .. (موشى دزرائيل)(*) .

كان هذا هو أوّل اسم قفز إلى ذهنها .. ربّما لذلك التشابه بين (أدهم صبرى) ، وضابط الموساد السابق (موشى حاييم دزرائيل) ، ولقد أتى الاسم مفعوله بسرعة ، فقد هتف (كال) فى دهشة ، وكأن هذا آخر مايتوقعه :

— (موشى دزرائيل) ؟!.. أهو ...؟

قاطعته :

— إسرائيلى ؟. نعم .. ولقد كان يعمل فى صفوف (الموساد) ، ثم بلغنا نبأ مصرعه ، ولكننى فوجئت أنه على قيْد الحياة ، ولكنه فقد ذاكرته .

ردّد (كال) فى ذهول :

— (الموساد) ؟

ثم قفز إلى هاتفه ، وراح يضغط أزراره فى انفعال ، فقالت (سونيا) فى توتُّر :

— لست أريد أن يعلموا أنه مايزال على قيْد الحياة .

أجابها فى انفعال :

— اطمئنى .. لن يعلموا .

(*) راجع قصة (الجليد المشتعل) .. المغامرة رقم (٦٥) .

انتظرت حتى جاءه صوت محدّثه ، على الجانب الآخر من الهاتف ، وقال :

— طاب مساؤك .. نعم .. أنا (كال) .. أريد خدمة أخرى من كمبيوتر المخابرات المركزية الأمريكية ، الذى تعمل معه .. نعم .. نفس المبلغ كالمعتاد .. أريد معرفة كل مالديكم عن ضابط سابق فى (الموساد) ، يُدعى (موشى دزرائيل) .

قالت (سونيا) فى صوت خافت :

— (موشى حاييم دزرائيل) ..

صحّح (كال) الاسم لمحدّثه ، وانتظر لحظات ، قبل أن يقول فى لهفة :

— هل عثرت عليه ؟.. نعم .. كان يمتلك قُدرات هائلة .. بالتأكيد .. مات .. شكرًا لك .. سيصلك المبلغ بالوسيلة المعتادة ، وستحصل على مكافأة خاصة أيضًا .

وأعاد سمّاعة الهاتف ، وهو يقول :

— إنه هو .

ثم أطلق فجأة ضحكة ارتياح ، مكرّرًا :

— إنه هو .

قالت ، وقد بدا لها النصر قاب قوسين أو أدنى :

— وأنا أريده ياسنيور (كال) .. بأى ثمن .

أطلق ضحكة عالية أخرى ، وهو يقول :

— لا ثمن يا فاتنتي .. ستحصلين عليه بالمجان ، فعندما يكون (كال) سعيدًا ، يُروق له أن يذر السعادة على كل من حوله .

والتقط سمّاعة هاتفه مرّة أخرى ، وضغط أزراره ، ولم يكد يسمع صوت محدّثه ، حتى قال :

- هنا (كال) .. قُلْ لـ (جوزيه) إنني أريد التحدّث إليه .

انعقد حاجباه بغتة ، وبدا التوتّر في صوته وملامحه ، وهو يقول :

— ماذا ؟.. هل رحل مع السجين ؟.. منذ متى ؟

هبّت (سونيا) من مقعدها ، وهي تقول في توتّر :

— رحل معه ؟!

أما (كال) فقد بدا الضيق عليه ، وهو يقول :

— منذ ساعة .. لا فائدة إذن .

ثم أعاد سمّاعة الهاتف ، وهو يقول لـ (سونيا) ، التي امتلأ وجهها بالفزع :

— لقد رحلوا منذ ساعة ، وهذا يَعْني أن تنفيذ حكم الإعدام قد تمّ .. أنا آسف يا سنيوريتا .. آسف جدًّا .

وانهارت (سونيا) لأوّل مرّة في عمرها ..

من أجل (أدهم) ..

***

١٠ — الإعدام ..

شعر (جوزيه) بحَيْرة بالغة ، عندما استسلم (أدهم) تمامًا له ولرجاله ، وهم ينقلونه إلى سيارة السجن المغلقة ، ذات القضبان ..

صحيح أن (جوزيه) قد استعان بعشرة رجال ، يحمل كل منهم مدفعًا رشاشًا قويًّا ، ويتحفّز لتحطيم رأس (أدهم) ، ونسفه نسفًا ، عند أوّل بادرة مقاومة من هذا الأخير ..

وصحيح أنه أصرّ على إحاطة معصمي (أدهم) بالأغلال الحديدية خلف ظهره ، إلا أنه ، وعلى الرغم من كل هذا ، كان يتوقّع من (أدهم) شيئًا من المقاومة ..

ولكن (أدهم) كان أذكى من أن يفعل ..

لقد درس في زنزانته كل الاحتمالات ، وأدرك أن مقاومته لرجال الشرطة ، في مركزهم ، وبكل استعداداتهم هذه ، ستعدّ نوعًا من الانتحار الحتمي ..

ولقد نجحت (ماريانا) في التسلّل إلى النافذة الخلفية لزنزانته ، وبوساطتها حصل على بعض المعلومات الخاصة

بالسيارة ، التي ستنقله إلى السجن العام ، وهي سيارة صغيرة ، ذات خزانة خلفية من الصلب ، تتسع لثلاثة أفراد ، مما يعني أنه سيُودع بها مع حارسين ، ولقد أخبرته (ماريانا) أن سيارة من سيارات الشرطة ستتقدم سيارة السجن ، في حين ستتبعها سيارة شرطة أخرى ..

وبدراسة الأمر من كل الوجوه ، أدرك (أدهم) أن اللحظة المناسبة للفرار هي لحظة محاولة اغتياله بالذات ..

ففي هذه اللحظة ، يبدو الأمر للجميع وكأن (أدهم) مجرّد ضحية عديمة الحيلة ، وأنهم هم الوحوش المفترسة ..

ومن المربك حقًا ، في مثل هذه الظروف ، أن تتبدّل الأدوار على نحو مباغت ، بحيث تتحوّل الضحية فجأة إلى وحش مفترس ، وتصبح الوحوش هي الضحايا ..

وبخطّة مدرُوسة ، لم يقاوم (أدهم) ، وهم ينقلونه إلى سيارة السجن ، وابتسم في أعماقه ، عندما رافقه حارسان كما توقّع ، ثم أنصت في اهتمام ، حتى سمع أربع خبطات خافتة على باب السيارة ، تلتها ثلاث دقّات ..

وكانت هذه شفرة اتفق عليها مع (ماريانا) ..

شفرة تقول إن السيارة الأمامية تحمل أربعة رجال ، في حين تحمل السيارة الخلفية ثلاثة ، وإذا أضاف (أدهم) إليها حارسيه ، وسائق سيارة السجن ، يكون المجموع عشرة رجال بالتمام والكمال ، هم كل القوة التي ينبغي أن يقاتلها لِنَيْل حرّيته ..

وعلى الرغم من قيوده وحرّاسه ، استرخى (أدهم) داخل سيارة السجن في هدوء أدهش الحارسين المرافقين له ، وبث في قلبيهما شيئًا من الرّهبة والخوف ، فاتجهت أسلحتهما إليه في حذر وقلق ..

ومع رحلة الانتقال ، راح (أدهم) يراجع الموقف في هدوء ..

لقد أوقع به (كال) في مشكلة عويصة ..

مشكلة مع القانون ..

وحتى لو نجا من محاولة اغتياله ، فسيكون عليه أن يواجه قوة القانون كلها ، باعتباره أحد الخارجين عليه ..

وهذا يزيد من مشكلته تعقيدًا ..

ولكن لماذا لا يشعر بالقلق ؟..

لماذا تبدو له كل هذه المخاطر والتعقيدات مألوفة ؟..

ترى ، هل اعتاد مجابهة الخطر ؟..

نعم ..

هذا مايشعر به في أعماقه ..

استهتاره بالموت يؤكد له أنه رجل خلق ليقاتل .. وليتحدى ..

وبعد ساعة كاملة من السير ، توقفت سيارة السجن ، وتحفزت كل خلية من خلايا (أدهم) للعمل ..

وبدت الحيرة على وجهي حارسيه ، وكأنما يتساءلان عن سر هذا التوقف ، فابتسم في سخرية ، قائلا :

— لاتقلقا .. فقط حانت اللحظة .

سأله أحدهما في توتر :

— أية لحظة ؟

وفجأة ، انفتح باب السيارة في عنف ، وبدت خلفه وجوه عدة ..

لقد حدث اختلاف بسيط في الخطة ..

إن (أدهم) لن يواجه عشرة من رجال الشرطة فحسب ..

بل سيواجه أيضا خمسة عشر رجلا من رجال (كال) ، أطلوا بوجوههم عليه ، وابتساماتهم الساخرة تمتزج بعلامات الموت في فوهات مدافعهم الرشاشة ، وإلى جوارهم وقف (جوزيه) متوترا ، يقول :

— ماكان ينبغي لسنيور (كال) أن يرسلكم .. كان اتفاقنا أن ينهي رجالي الأمر كله .

ابتسم قائد رجال (كال) ، وهو يقول :

— لافارق يا (جوزيه) .. إننا هنا للتيقن من مصرع ذلك الشيطان فحسب .

ثم أشار إلى حارسي (أدهم) ، قائلا في صرامة :

— غادرا السيارة .

قفز الحارسان من السيارة في توتر ، في حين ابتسم الرجل ابتسامة شامتة ساخرة ، أجابها (أدهم) بابتسامة أشد سخرية ، وهو يقول :

— مرحى أيها الوغد .. أيثق زعيمك (كال) في قوتي إلى هذا الحد .

أجابه الرجل ، وهو يجذب إبرة مدفعه :

— ربما .. سيبلغك الأغبياء في الجحيم عن الحقيقة .

ثم رفع يده إلى رجاله ، مستطركا فى حزم :

ـ هيا .. فلننه هذا العمل .

ارتفعت فوهات المدافع الآلية كلها نحو (أدهم) ، الذى وقف ثابتًا وسط سيارة السجن ، وهتف الرجل :

ـ الآن .

وارتجت المنطقة كلها بدوى سيل من الرصاصات ..

* * *

[انتهى الجزء الثانى بحمد الله ، ويليه الجزء الثالث]

(معركة القمّة)

رقم الإيداع : ٣٦٩٩

المؤلف

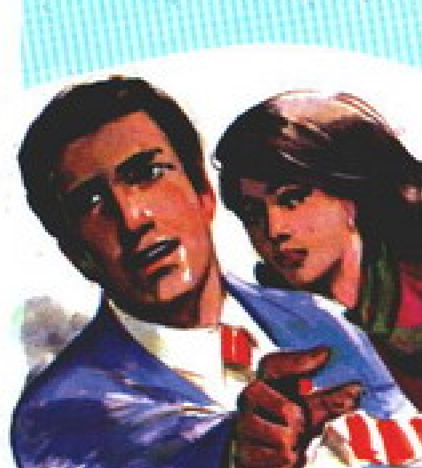
د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٨٢

الأخطبوط

- كيف ينجح (أدهم صبرى) فى مواجهة جيش كامل بمفرده ؟
- من هى (نورما كرينهال) ؟.. ولماذا تسعى خلف (أدهم) ؟
- ترى .. هل ينجو (أدهم) من أذرع (كال) ، أم يقتنصه ذلك (الأخطبوط) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وتابع مايفعله (رجل المستحيل) ..







الثمن فى مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم : معركة القمة